تفنيدُ شُبْهةٍ حول حديث (لعنةُ اللهِ على اليهود والنَّصارى اتَّخَذُوا قُبور أنبيائهم مَسَاجِد)

د. صادق سليم صادق[1]

مستخلص البحث

موضوع البحث: ردُّ شُبهةٍ لعبد الله بن الصديق الغماري حول أحاديث لعن الله اليهود والنصارى؛ لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وحكمه عليها بالشذوذ، وبعدم جواز العمل بها.

هدف البحث: بيان بطلان حكمه على تلك الأحاديث بالشذوذ، والرد على الشُّبه التي أثارها حولها، وإثبات صحة هذه الأحاديث؛ ودلالتها على الحكم الذي أنكره وجحده.

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

أهم النتائج: براءة تلك الأحاديث من المطاعن والشبهات التي وجهها إليها الغماري، والكشف عن ذلك تفصيلاً، وبيان مخالفته لجماعة العلماء الذين قبلوها وصححوها، وبنوا عليها: تحريم اتخاذ القبور مساجد، أو بناءها بجوار قبور الصالحين، كما هو

(1) الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
حصل على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية أصول الدين- بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (المصادر العامة للتَّلقي عند الصوفية: عرضاً ونقداً).
حصل على درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية أصول الدين – بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (مسالك المتكلمين في ردّ الأحاديث والآثار المروية في صفات رب العالمين: عرضاً ونقداً).
البريد الإلكتروني:sadikoyag1962@gmail.com

مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

مفصَّل في هذا البحث. وكذلك: بيان جرأته على صحيحي البخاري ومسلم، وإسقاطه لهيبتهما؛ بطعنه فيما روياه من الأحاديث المتعلقة بهذا الباب؛ الناهية نهياً صريحاً عن اقتراف تلك الأفعال المؤدية إلى الشرك الأكبر، والموصلة إليه. وكذلك: تمّ التنبيه في هذا البحث، على إحدى مقاصد أهل البدع المسلوكة، وطرائقهم المعهودة؛ في دفع الأحاديث التي تخالف مذاهبهم وأهواءهم؛ ولجوئهم إلى القدح في أسانيدها، وتحريف معانيها.

أهم التوصيات

أوصي بمزيد اهتمام بنقد الشبهات والمطاعن المثارة حول هذا الموضوع، من قِبل المختصين والباحثين، والتّصدي لها؛ لكونها لا تزال سارية ومدونة في الكتب، وتتناقلها وسائل التواصل المختلفة؛ نصحاً لعامة المسلمين، وتحذيراً لهم من الشرك، والبدعة، ودعاتها.

الكلمات المفتاحية: شبهات، عبد الله الغماري، اليهود والنصارى، قبور أنبيائهم.

Abstract

Topic: Refutation of a specious argument of Abdullah Al-Siddiq Al-Ghumaari regarding the prophetic narrations that mention Allah's curse upon Jews and Christians for taking their prophet's graves as places of worship, his ruling of them as abnormal and that this act is not permissible.

Research Objectives: Demonstrating the error of his claim, refuting his specious arguments, affirming the authenticity of the narrations and their being evidences for the ruling he tries to deny.

Methodology: Critical, Analytical and Descriptive.

Significant Results: Establishing the falsehood of his defects and ruling, clarification and detailing that these narrations are not weak, outlining his opposition to scholars that authenticated these narrations and established the prohibition of taking graves as worship places, and building them in the vicinity of the graves of righteous people. Exposing his transgression, disregard, and attack toward status of Bukhari and Muslim, and what others have narrated regarding this topic which might lead to major shirk (polytheism). Bringing awareness to the ways of people's innovation and habit in rejecting narrations that do not agree with their ways and desires and their attacks on the chains of these narrations as well as their meanings.

Recommendations: Highlight importance of refuting such arguments by researchers because they are spread in books and social media. This should be done as a service for Muslim populace to warn them from these actions and innovation and their supporters.

Key Words: Specious arguments, Abdullah Al-Ghumaari, Jews and Christians, prophets graves.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة الراسخة؛ لا تزلزلها الشُّبَهُ التي يُلقيها أعداؤها من الطُّرقيين، والقبوريين؛ الذين تشعّبتْ وسائلهم-مع توحّد عزائمهم- للظفر بما يشكك فيما أجمعت الرسلُ بالدعوة إليه؛ وهو توحيد العبادة، الذي كان أوّل مظهرٍ من مظاهر الإخلال به؛ عبادة الصالحين، والعكوف على قبورهم؛ وهو ممّا حذّر منه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، أُمَّتَه من أن تتورط فيه كما تورطت الأُمم التي سلفتها.

لكن أبى الضالون من هذه الأمة إلا تقليد أسلافهم من أمم الشرك، وعُبّادِ القبور، الذين زيّنوها وهيّأوها للعكوف، وحسّنوا الذكرَ عندها والضربَ بالدفوف؛ حتى غدت ملاذاً وملجأً للخائف الملهوف، ومَحَجّاً يَفِدُ إليها الألوف تلوَ الألوف، بل صار بعض من يُنْسَب إلى العلم؛ يضع الرسائل والكتب في جواز ذلكم الصنيع، ويتكلّم بالباطل؛ وهو به صديع، ويردّ أحاديث بلغت في الصحة المكانَ الرفيع؛ كعبد الله بن الصديق الغماري (ت: ١٤١٤هـ)؛ الذي شكّك في ثبوت الأحاديث الناهية عن اتخاذ المشاهِد والقبور مساجد، وكابد في سبيل ذلك ما كابد، وأورد عليها إشكالات واعتراضات؛ لم يجد من يوافقه عليها من العلماء أو يُناجِد؛ وزعم أنها غير صالحة للحُجِيّة؛ وهذا لنظره القاصر، وليس له في رأيه - والحمد لله - من مُناصر؛ إذْ طعن في الحديث المتفق عليه المسَلَّم، عند الإمامين البخاري ومسلم، أن رسول الله ﷺ قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد". قالت عائشة رضي الله عنها: "يحذر ما صنعوا"[١]، وفي لفظ: "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[٢].

قال الحافظ البزار (ت: ٢٩٢هـ): "وأما قوله ﷺ: (لعنة الله على اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فمحفوظ من طرق كثيرة صحاح"[٣].

فمع وضوح دلالة الحديث على النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن فاعله، واتفاق الشُّراح على ما اشتمل عليه من تحذير هذه الأمة، أن تقتفي في هذا الباب بمن سبقها من الأمم؛ فقد شكّك – كما سبق– عبدُالله بن الصديق الغماري، في دلالته وفي ثبوته، وزعم أن بناء المساجد على القبور؛ لأجل التبرك بجوار الصالحين؛ لا بأس به؛ ولذا: ادعى أن تلك الأحاديث مصروفة الظاهر.

قال الغماري معرِّفاً بمؤلفه الذي نثر فيه تلك الشُّبهات والاعتراضات: "...فهذا جزءٌ سميته (إعلام الراكع والساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد)، تكلمتُ فيه على حديث: (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٤]، وشرحت معناه، وبينتُ ما فيه من إشكال، لم ينتبه له جميعُ شُرّاح الحديث فيما أعلم..."[٥].

وهذا الإيغال في الشذوذ ليس بمستغرب منه؛ فقد تجاسر بردّ جملة من أحاديث

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٢٥) ومسلم، برقم (٥٣١)، من حديث عائشة، وابن عباس – رضي الله عنهما–.
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٤٢٦)، ومسلم، برقم (٥٣٠)، كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ٥/ ٤٢.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) انظر للرد على أباطيل عبد الله الغماري، وشقيقة أحمد الغماري: كتابَ (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد)، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وهو مطبوع عدة طبعات.

الصحيحين، في مصنفات أخرى له؛ لمجرد مخالفتها لمذهبه الاعتقادي المنحرف[1].

قال الغماري – وهو يجاهر ويفاخر بخروجه عمّا اتفقت عليه أفهام علماء الأمة، وفحول الأئمة، بخصوص أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد –: "وهذا من المسائل التي لم يتفطن لها أحد من العلماء قبلي، ولله المنة والفضل"[2].

وقال أيضاً في سياق ترجمته لنفسه؛ منوهاً بتلك الرسالة: "... (إعلام الراكع والساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد)، تكلمتُ فيه على حديث: (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم

(١) انظر كتابه: (الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة والمردودة)، فقد ردّ حديث الجارية لما سألها الرسول ﷺ: "أين الله"، مع أنه في صحيح مسلم، برقم (٥٣٧)، وردّ حديثَ مسلم، برقم (٩٧٦)، الوارد في استئذان النبي ﷺ، ربه أن يستغفر لأمه، فلم يأذن له، وردّ حديث مسلم، برقم (٢٠٣)، لما قال النبي ﷺ، لرجل: "أبي وأباك في النار"، وردّ حديث لعن اليهود والنصارى–الذي سبق تخريجه– لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، مع أنه في الصحيحيْن، وردّ حديث وضع الرب تعالى قدمه في النار، مع وروده في الصحيحين؛ فقد أخرجه البخاري، برقم (٤٨٤٨)، ومسلم، برقم (٢٨٤٨)، كلاهما من حديث أنس، وورد مثله عند البخاري، برقم (٤٨٤٩)، ومسلم، برقم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة، وردّ الغماري أحاديث أخرى غيرها.

وهذا الغماري يتباهى بكتابه (الفوائد المقصودة) – الذي أودع فيه تلك الشذوذات– فيقول في كتابه (سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق)، ص١٢١، وهو يعدد مصنفاته: "ومنها: أنني أصنف الآن–بحول الله تعالى– جزءا في الأحاديث الشاذة، التي لا يُعمل بها، وبيان سبب ذلك". فكل العجب ممن يغتبط؛ بهذا التهوّر والسقط، ويذهب به الإفراط في التحريف هذا المذهب، ويركب للتأويل كل مركب!

وقد قال في كتابه المشار إليه، ص١٠٥ عن أحاديث النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد: "هذا الحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق، وقد عمل به كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، ولم يتفطنوا لما فيه من العلل التي تقتضي ترك العمل به؛ وذلك أن القرآن يعارض هذا الحديث من ثلاثة أوجه...".

هذه الأوجه زاد عليها أوجهاً أخرى في رسالته (إعلام الراكع والساجد) وسيأتي الكلام عليها تفصيلاً.

(٢) الفوائد المقصودة، عبد الله الغماري، ص.

مساجد)، وأوردت عليه إشكالاً ما سبقني إليه أحد"[١].

ويناسب هذا المقام، أن تُسْتَعَارَ منه كلمة جائفة؛ أطلقها في حق من ينبزهم بالـ(وهابية)[٢]، لمـّا أراد تقوية زيادةٍ شاذة، وردت في حديثٍ؛ ليستدل بها على مذهبه المنحرف في التوسل[٣]؛ فقال: "... والحاصل: أن الوهابيين لمـّا وجدوا هذا الحديث يدفع في صدورهم، ويحزّ في نحورهم؛ تمحّلوا في ردّه، وتكلّفوا في ذلك المشاق! وهيهات أن يُردّ الحديثُ الصحيح بمثل هذه التمحّلات الباردة، والتعللات الفاسدة، ونعوذ بالله من تعصب يفضي إلى جهل، ومن تعسُّف يؤدي إلى إبطال حق..."[٤].

وهذا المسلك الذي عابه كذباً على غيره، هو بعينه ما فعله – هاهنا- مع أحاديث لعن اليهود والنصارى؛ لاتخاذهم القبور مساجد! فصدق عليه المثل القائل: "رمتني بدائها وانسلّت"[٥].

وقد توسّع في إيراد تلك المطاعن في كتابه (إعلام الراكع والساجد)، ما لم يتوسع في كتابه الآخر (الفوائد المقصودة)؛ ولذا: سأسوقها من الكتاب الأول، ثم اتعقبه بالرد والتفنيد، أسأل الله التوفيق، والإعانة، والتسديد.

(١) سبيل التوفيق، عبد الله الغماري، ص١٠٩.

(٢) هذا لقبٌ يطلقه أعداء الإمام محمد بن عبد الوهاب عليه؛ يرومون تنفير الناس عنه وعن دعوته النقية الناصعة، التي قوامها على التوحيد، وإخلاص العبادة لله، ونبذ الشرك والتنديد، وهم يقرنون بهذا الإطلاق- أعني: من يحاربه- فرى لاحبة، وأكاذيب غير صائبة؛ يحملون أوزارها، قد هتك الله أستارها، واستبان للمنصفين فداحة عوارها.
وفي الدفع عن هذا الإمام من الكتب والتصانيف والبحوث والمقالات المتكاثرات، ما يدحض تلك الأكاذيب والشائعات.

(٣) أعني: حديث توسل الضرير، بدعاء الرسول ﷺ.

(٤) الرد المحكم المتيـن على كتاب القول المبيـن، عبد الله الغماري، ص١٥٢.

(٥) انظر: أمثال العرب، المفضل الضبي، ص٧٦.

أسباب اختيار البحث

ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع:

١. أن فيه حمايةً لجناب التوحيد، وذباً عنه، وسداً لذرائع الشرك.
٢. أنه متعلق بمسألة عقدية، عمَّت بها البلوى، في كثير من بلاد أهل الإسلام، أعني: اتخاذ القبور مساجد؛ الذي بسببه عُبِد الموتى، ومن يُنسبون إلى الولاية والصّلاح؛ حتى حصل للناس اعتيادُ ذلك الشرك، وإلْفُه- والعياذ بالله-.
٣. ما ينشره ويبثّه أعداء التوحيد من شُبهٍ، يسوغون بها هذا الاتخاذ، والتعلّق، والتّبرك.
٤. كون الطاعن المشكك؛ من علماء أهل البدع، ومن ذوي المنزلة والمكانة والخطر عندهم، وهم لا شكّ: مُقلّدوه، وموافقوه.
٥. ما يتوقع من رواجٍ لهذه الشُّبه الفاسدة، على من لا علم عنده؛ فتزل قدمٌ بعد ثبوتها؛ فالشُّبَهَ خطّافةٌ غرَّارة.

حدود البحث

يقتصر هذا البحث على تفنيد الشبهات التي أوردها عبد الله الغماري، في كتابه (إعلام الراكع والساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد) على أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

الدراسات السابقة

للشيخ العلَّامة محمد ناصر الألباني كتاب عنوانه (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد)، وهو في جملته ردٌّ على كتاب (إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور) لأحمد بن الصدّيق الغُماري، وللشيخ العلّامة المعلمي اليماني(ت: ١٣٨٦هـ) كتاب في اتخاذ القبور مساجد مطبوع ضمن آثاره، وكذلك للدكتور صالح بن مقبل العصيمي كتاب (بدع القبور وأحكامها)، وللشيخ السيد عبد المقصود عدّة كتب في هذا الباب؛ وهي

(فتح الغفور بالتحذير من بدعة الطواف والتمسح بالقبور)، و(القول المنصور في التحذير من بدعة تحري الدعاء عند القبور)، و(تحذير المسلم الغيور من بدعة التّمسّح وتقبيل القبور)، و(السعي المشكور للتحذير من بدعة شدّ الرحال إلى القبور)، و(الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد والقباب على القبور)، وكلّ هذه الكتب على أهميتها البالغة بما تجويه من ردود على المنحرفين في هذا الباب، لكنها لا تتضمن الردّ على الشبهة التي استحدثها عبدُ الله بن الصديق الغُماري؛ الطاعن في صحة الأحاديث الواردة بتحريم اتخاذ القبور مساجد؛ بزعم أنها تخالف القرآن والواقع المشَاهَد والتاريخ. وهو الذي تناولته بالردّ والتفنيد في هذا البحث.

منهج البحث

يعتمد البحث الطريقةَ الوصفية الاستقرائية النقدية؛ بتتبع الشُّبَهِ التي ساقها عبدالله الغماري، ثم عرضها، وإتباعها بالنقد حسب القواعد العلمية المنهجية، المستقرّة في أوضاع الباحثين.

منهج كتابة البحث

أولاً: كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

ثانياً: تخريج الأحاديث النبوية وبيان أحكام أهل الاختصاص فيها؛ قبولاً وردّاً، عدا ما رود منها في الصحيحين؛ فإنهما باقيان على حكم الصحة، كما لا يخفى.

ثالثاً: توضيح بعض الكلمات اللغوية والمصطلحات العلمية في الهامش.

رابعاً: العناية بالتوثيق وعزو الأقوال إلى أصحابها.

خامساً: أذكر وفاة العَلَم في صلب البحث؛ واضعاً ذلك بين قوسين هكذا (ت: هـ)، أو (ت: م)، ما عدا الصحابة، وأمّا من لم أظفر لهم بترجمة؛ فأهمل تاريخ وفاتهم.

خطة البحث

هذا وقد قسمت البحث إلى سبعة مباحث؛ كالآتي:

المبحث الأول: شبهة امتناع اتخاذ النصارى قبور أنبيائهم مساجد لكونه لا يُعرَف لهم نبي غير عيسى عليه السلام، ولا قبر له في الحقيقة، وتفنيدها.

المبحث الثاني: أن اليهود نسبوا إلى الله تعالى النقائص وغيرها من الأمور التي لا تليق به؛ فمن ينسب إلى الله هذه النقائص؛ لا يُتصور منه أن يتخذ قبور أنبيائه مساجد.

المبحث الثالث: كيف تتفق محبة اليهود لأنبيائهم واتخاذ قبورهم مساجد؛ مع قتلهم لهم وتكذيبهم إيّاهم؟

المبحث الرابع: أن التعبير بالفعل المضارع في القرآن الكريم بـ(تقتلون)، و(يقتلون)، وبالعموم في قوله تعالى (أفكلما): دالان على تجدد هذه الأفعال من اليهود واستمرارها، ويفيد التكرار والعموم، والنتيجة: أن اليهود في جميع عصورهم؛ لا يخلو حالهم مع أنبيائهم من أمرين: التكذيب، أو القتل، ولا يمكن أن يقال: مرَّ عليهم عصرٌ لم يقتلوا فيه نبياً أو صالحاً.

المبحث الخامس: أنه لا يُعرف قبـرُ نبي إسرائيلي، أو صالح منهم في مكان معين بالتحديد، فكيف يتخذون قبورهم مساجد وهم يجهلونها؟!

المبحث السادس: أن اليهود يؤمنون بإله واحد، وإن كانوا يعتقدون فيه التجسيم والتشبيه، وكنائسُهم خالية؛ لا قبـر فيها، ولا صورة. والطائفة العُزيريّة منهم، انقرضت قبل عهد النبوة، وهم لا يعرفون قبر عُزيرٍ أيضاً، فكيف يعبدون قبور أنبيائهم وصالحيهم؟

المبحث السابع: أنه لم يأت في القرآن، ولا كتب السيرة، أن قبـراً عُبد من دون الله، أو حصل به إشراك، كما حصل بالمعبودات الأخرى.

ثم **الخاتمة**: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المراجع والمصادر.

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينتفع به كل من اطلع عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه الأمين، وعلى الآل والصحب أجمعين.

المبحث الأول

شبهة امتناع اتخاذ النصارى قبور أنبيائهم مساجد لكونه لا يُعرَف لهم نبي غير عيسى عليه السلام، ولا قبر له في الحقيقة، وتفنيدها، وتحته:

أولاً: شُبهة امتناع اتخاذ النصارى قبور أنبيائهم مساجد لكونه لا يُعرَف لهم نبي غير عيسى عليه السلام، ولا قبر له في الحقيقة.

استروح عبدالله الغماري في تقرير هذه الشبهة، إلى ما نقله عن الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، لما تصدّى لشرح حديث (لعن الله اليهود والنصارى)، فقال: "وقد استُشكل ذِكْرُ النصارى فيه؛ لأن اليهود لهم أنبياء، بخلاف النصارى؛ فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ، نبي غيره له قبر"(١).

ثانياً: تفنيد شبهة امتناع اتخاذ النصارى قبور أنبيائهم مساجد لكونه لا يعرّف لهم نبي غير عيسى عليه السلام، ولا قبر له في الحقيقة. وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن من أهل العلم من قال بنبوة مريم وغيرها، وإن لم يكونوا مرسلين(٢)، وعليه:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٥٣٢. وهذا الإشكال أورده بعض شراح الحديث وأجابوا عنه بأجوبة مُسدّدة؛ توهن هذا الاعتراض، وستأتي مفصَّلةً. وانظر: فيض القدير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ٤/ ٤٤٦، والتيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ٢/ ١٨١.

(٢) ممن ذهب إلى القول بنبوة مريم: أبو الحسن الأشعري، والقرطبي، وابن حزم. انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٦/ ٤٤٧-٤٤٨، و٦/ ٤٧٣، ولوامع الأنوار البهية، السفاريني، ٢/ ٢٦٦، وتفسير القرطبي، ٤/ ٨٣، لكن القرطبي لا يقول بنبوة أم موسى، خلافاً لابن حزم الذي يقول بنبوتها، ونبوة غيرها. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٥/ ١٣.
قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية، ٢/ ٢٦٦: "...وَقَدْ حَكَى الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْمُلَقِّن فِي شَرْحِه على عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ خلافاً فِي نُبُوَّةِ مَرْيَمَ، وَآسِيَةَ، وَسَارَةَ، وَهَاجَرَ، وَأُمِّ مُوسَى- عليه السلام -...".
ونقل النووي في الأذكار، ص١١٩، عن إمام الحرمين، حكايته الإجماع بعدم نبوة مريم، وجاء عن الحسن البصري: أنه ليس في النساء نبيّة، ولا في الجن. انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٦/ ٤٧١-=

فلا إشكال في دخولهم في عموم ذلك الاتخاذ.

الوجه الثاني: أن الجمع في قوله: (أنبيائهم) بإزاء المجموع من اليهود والنصارى(١).

الوجه الثالث: أن المراد: الأنبياء وكبار أتباعهم؛ فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيده قوله في رواية مسلم (ت: ٢٦١هـ)(٢): (كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد).

ولذا لما أفرد النصارى في الحديث الذي سبق-يعني: حديث الكنيسة- قال: إذا مات فيهم الرجل الصالح، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده، قال: قبور أنبيائهم(٣).

الوجه الرابع: أن المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعاً أو اتباعاً؛ فاليهود ابتدعت، والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظّم قبورَ كثيـر من الأنبياء، الذين تعظمهم اليهود(٤).

قال القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ): "... في بعض الطرق الاقتصار على لعن اليهود؛ وحينئذ

=٤٧٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية، في مجموع الفتاوى، ١١/ ٣٦٤-٣٦٥: "... فَإِنَّ الله جعل الذين أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةً: النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءَ، وَالصَّالِحِينَ؛ فَغَايَةُ مَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ: أَنْ يكون صِدِّيقًا كَمَا كَانَ خَيْرُ هذه الْأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا صِدِّيقًا؛ ولهذا كَانَتْ غَايَةُ مريم ذلك فِي قَوْلِهِ: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة:٧٥]. وَبِهَذَا اسْتَدْلَلْت عَلَى مَا ذَكَرَهُ طَائِفَةٌ: كَالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَأَبِي الْمَعَالِي- وَأَظُنُّ الْبَاقِلَانِي- مِنْ الْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً؛ لِيُقَرِّرُوا كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِمَا جَرَى عَلَى يَدَيْهَا؛ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ زَعَمَ أَنَّهَا كانت نَبِيَّةً فَاسْتَدْلَلْتُ بهذه الآية؛ فَفَرِحَ مُخَاطِبِي بهذه الْحُجَّةِ؛ فَإِنَّ اللهَ ذَكَرَ ذلك فِي بَيَانِ غَايَةِ فَضْلِهَا؛ دَفْعًا لِغُلُوِّ النَّصَارَى فيها؛ كما يُقَالُ لِمَنْ ادَّعَى فِي رَجُلٍ أَنَّهُ مَلِكٌ مِنْ الملوك؛ أَوْ غَنِيٌّ مِنْ الأغنياء، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: مَا هو إلَّا رَئِيسُ قرية، أَوْ صَاحِبُ بُسْتَانٍ؛ فَيَذْكُرُ غَايَةَ مَا لَهُ مِنْ الرِّئَاسَةِ والمال. فلو كان لِلْمَسِيحِ مَرْتَبَةٌ فوق الرِّسَالَةِ أَوْ لها مَرْتَبَةٌ فوق الصديقيّة؛ لَذُكِرَتْ".

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٥٣٢.

(٢) برقم (٥٣٢).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١/ ٥٣٢.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٥٣٢، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ١/ ٤٣٥.

فقوله: (قبور أنبيائهم مساجد) واضح، فإن النصارى لا يقولون بنبوّة عيسى، بل البنوّة، أو الإلهية، أو غير ذلك على اختلاف مللهم الباطلة، بل ولا يزعمون موته(١)، حتى يكون له قبر، وعلى هذا فيشكل قولُه: (اليهود والنصارى). وتعقيبه بقوله: (اتخذوا).

وأجيب: بأمَّا أن يكون الضمير يعود على اليهود فقط، بدليل الرواية الأخرى، وأما بأن المراد من أُمر بالإيمان بهم من الأنبياء السابقين: كنوح وإبراهيم"(٢).

قال الشيخ زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ)؛ موضحاً معنى القول السابق (بأن الجمع بإزاء المجموع من اليهود والنصارى): "وهو قريب من التغليب، وبأن المراد: هم وكبراءُ أتباعهم"(٣).

وساق الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ) غالب هذه الأجوبة، ثم قال: "وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: أَنْبِيَاءُ الْيَهُودِ؛ أَنْبِيَاءُ النَّصَارَى؛ لِأَنَّ النَّصَارَى مَأْمُورُونَ بِالْإِيمَانِ بِكُلِّ رَسُولٍ؛ فَرُسُلُ بَنِي إسْرَائِيل يُسَمَّوْنَ أَنْبِيَاءَ فِي حَقِّ الْفَرِيقَيْنِ"(٤). وهذا جمعٌ حسنٌ مُتَقَوَّم؛ يندفع به التّعارض المـُتوهَّم.

الوجه الخامس: على القول بأنّ من اتُّخِذَتْ قبورُهم مساجد (أنبياء) كما في ظواهر الأحاديث؛ فلا يُشكل أيضاً؛ يوضّحه: أن تسميتهم (أنبياء)، وإضافة وصفِ النبوة إليهم؛ لِما عند أقوامهم أنهم أنبياء، أي: بحسب اعتقادهم فيهم، ولا يلزم أن يكونوا أنبياء في نفس

(١) بل يزعمون موته ويقولون: إنه قام بعد ذلك من بين الأموات. انظر على سبيل المثال: سفر أعمال الرسل، ٤: ١٠، ورسالة بطرس الرسول الأولى، ١ : ٣، ورسالة بولس إلى أهل فيلبي، ٣: ١٠- ١١، وسفر المسامير، ٢٤: ٧-٩، إنجيل متى، ١٩-٢٠، ومرقص، ٩: ٩، ، ويوحنا، ١/ ٢٠: ١٨، وبطرس، ١: ١٨: ٣.

(٢) إرشاد الساري، القسطلاني، ٢/ ٤٧٦.

(٣) منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الأنصاري، ٢/ ١٤٤.

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، ١/ ٢٣٠.

الأمر؛ كما أن الله تعالى سمّى في القرآن معبودات المشركيـن في غير موضع (آلهةً)، و(شركاء) وأضافهم إليهم، وإن لم يكونوا آلهة وشركاء في الحقيقة؛ فيكون ذلك واقعاً على وجه المجاز، وبحسب زعمهم؛ أي: هم شركاء عندهم؛ نصبوهـم بغـير برهـان ولا دليل[١]. وكذلك الأمر ها هنا؛ ادَّعوا لهم منصب النبوة، وما هـم بأنبيـاء في الحقيقة. يوضّحُه:

الوجه السادس: وهو: أنّ أسفار وكتب النصارى المقدّسة قررت نبوةَ الحوارييـن، بل رسالتهم، كما قال بولس عن نفسه: "بولس رسولٌ لا من الناس، ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات"[٢]، بل ادّعى بولس أن له أنجيلاً تلقّاه من ربّه يسوع –حسب زعمه الباطل–: فقال: "وأعرّفكم أيها الإخوةُ الإنجيلَ الذي بشرتُ به أنه ليس بحسب إنسان؛ لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا عُلِّمْتُه، بل بإعلان يسوعَ المسيح"[٣]. وبما أنّ النصارى يعتقدون ألوهية عيسى بن مريم – عليهما السلام–، فقد نصّت أناجيلهم المحرّفة على أنه أرسل اثني عشر رجلاً، وأعطاهم من الخصائص ما جعلهم في مصاف الرسل. وهذا الزعم الباطل ورد في إنجيل (متّى) ونَصُّهُ: "ثم دعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يُخرجوها، ويشفوا كل مرض... هؤلاء الاثنا عشر، أرسلهم يسوع، وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامرييـن لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحَرِيِّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون، أكرزوا [٤] قائليـن: إنه قد اقتـرب

(١) انظر: التفسير، السمرقندي، ٢/ ١٧٠، وتفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢/ ٣٢٤، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٩/ ١٠٧، وتأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٦/ ٣٦.
(٢) الرسالة إلى أهل غلايطة، ١/ ١-٢.
(٣) المصدر السابق، ١/ ١١-١٢.
(٤) الكرازة هي: المناجاة العلنية بالإنجيل للعالَـم غير النصراني؛ فهي ليست مواعظ دينية لجماعة مغلقة =

ملكوت السماوات. اشفوا مرضى؛ طهروا برصاً؛ أخرجوا شياطين؛ مجاناً أخذتم؛ مجاناً أُعطوا..."(١).

يقول متّى هنري (ت: ١٤١٧م)- في مقدمة لشرح هذا الإصحاح-: "هذا الإصحاح بمثابة عظة الرسالة التي ألقاها الرب يسوع المسيح؛ حينما رقّى تلاميذه الاثني عشر إلى درجة الرسولية"(٢). فإذا كان هذا تكليفاً - كما يزعمون - من عيسى - عليه السلام - الذي يعتقدون ألوهيته؛ فيكون هؤلاء الاثنا عشر؛ رُسلاً معتبَرين؛ بدليل أنهم أُعطوا من المعجزات، كما للرسل! بل إنهم ليدّعون أن (روح القدس)، نزل عليهم بعد اليوم الخمسين من قيامة المسيح -عليه السلام- من بين الأموات، وبعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام! ويسمون هذا اليوم الذي نزل عليهم فيه الوحي، بـ(يوم العنصرة). ويزعمون أنه بعد هذا النزول، قد خُصّوا بأمور وعجائب منها: القدرة على التكلم بلغات مختلفة؛ لم يكونوا يعرفونها، وبمعجزات، وخوارق(٣). بل بلغ أمر الغلو في هؤلاء الاثني عشر، أن زعموا لهم اقتداراً على غفران الذنوب(٤). بل إننا نجد (بولس) يقول عن نفسه: "لأني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرّسل"(٥).

=من المبتدئين، بل تبشير بعمل الله الفدائي – كما يزعم النصارى – بالمسيح يسوع؛ الكلمة أنها مجرد الخطابة والوعظ؛ حجبٌ لحقيقة معناها. انظر: موقع قاموس الكتاب المقدس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، على الشبكة العنكبوتية، الرابط الآتي:-https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/Kamous-Al-Engeel-index.html.

(١) إنجيل متى، ١٠/ ١-٨.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، متى هنري، ١/ ٣١٦.

(٣) انظر: أعمال الرسل، ٢/ ١-٤.

(٤) انظر: إنجيل يوحنا، ٢٠/ ٢١/ ٢٣، وانجيل لوقا، ١١/ ٤٩-٥٠.

(٥) كورنثوس، ٢/ ٤:١١.

إلى غير ذلك من النصوص التي يضيق عنها هذا المحل.

فإذا كان ذلك كذلك؛ سهل بهذا الوجه، وبالوجوه التي سبقته؛ الانفصالُ عن الإشكال القائل: كيف اتخذت النصارى قبور أنبيائهم مساجد، ولا يُعرف لهم نبي إلا عيسى عليه السلام؛ ولا قبر له في الحقيقة؛ لأنه مرفوع في السماء؟!

المبحث الثاني

أن اليهود – لعنهم الله– نسبوا إلى الله ما لا يليق بجلاله؛ فقالوا: إن الله فقير، ونحن أغنياء[١]، وقالوا: يد الله مغلولة[٢]. وقالوا: لما خلق السماوات والأرض استراح يوم السبت[٣]. ونسبوا إلى الله الندم؛ والحزن [٤]، وغير ذلك من النقائص. فمن ينسب إلى الله هذه النقائص؛ لا يُتصور منه أن يتخذ قبور أنبيائه مساجد.

والجواب: أن يقال جواباً على ما سبق: إذا سلمنا أن اليهود جميعاً –بلا استثناء– نسبوا النقائص العظيمة إلى الله تعالى، ولم يسبقهم إلى ذلك أحدٌ، وبهذا السبب تغلّظ كفرُهم؛ فهل موجب تلك الأقوال؛ سلبهم الربوبية والألوهية عنه تعالى؛ بحيث ترتّب عليه تركهم عبادته بالكلية؛ لكونه –والحالة هذه–: ناقصاً؛ عاجزاً–؛ لأن من المستقر الثابت لدى كافة العقلاء: أن ما زعموه في حق الله تعالى؛ موجبٌ للإهانة، بل لغاية الإهانة، وموجب لتعجيزه كذلك! ولا أظن الغماري في ذلك يماري، فإذا ناقشناه بشبهته هذه؛ وقلنا له: أَخْبِرْنا! كيف صحّ مع نسبتهم تلك الكفريات والنقائص إلى الله تعالى– التي هي أعظم من مجرد قتل الأنبياء وتكذيبهم–: أن يعبدوه، كما اعترفتَ بذلك؛ حيث أقررتَ أن اليهود قالوا بالتجسيم

(١) كما في قوله تعالى:﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

(٣) جاء في سفر التكوين، ٢:٢–٣: "وفرغَ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله...". وقد أكذب الله تعالى اليهود، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

(٤) انظر نسبتهم الندم والحزن إلى الله في الآتي: سفر الخروج، ٣٢/ ٢٤، وصموئيل الأول، ١٥:٣٥، وصموئيل الثاني، ١٥:٢٤–١٦، وسفر التكوين، ٦: ٦، و: ٦:٨.

والتشبيه، ومع ذلك: فقد عبدوه، وأقروا له بالوحدانية(١)؟!

وهذا نصوا عليه في توراتـهم المحرفة؛ في شأن إلههم (يهوا)، الذي زعموا فيه أنه إله اليهود وحدهم، ولا يزالون يعبدونه إلى اليوم بحسب دينهم الباطل، بل ويحبونه (٢)!! وهم مع حبهم المزعوم لله؛ قابلوه بزعم آخر؛ وهو ادّعاؤهم أنـهم أبناء الله وأحباؤه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]. فإذا ساغ صدورُ التناقض من اليهود، في أمر عبادة الله تعالى، فيسوغ ذلك في غيره تعالى؛ من باب أولى، ويزول ما استشكله الناقد، من كون اليهود اتخذوا قبور أنبيائه مساجد، مع سبهم لهم، وتكذيبهم إيّاهم.

فغاية ما يُقال في الجواب عن هذا الإشكال: أن اليهود كما تناقضوا في حق الله تعالى، فقد تناقضوا هنا أيضاً. ومهما يكن من أمر بعدُ: فالإشكال يندفع بأقلّ مما ذُكر.

(١) انظر: إعلام الراكع والساجد، عبد الله الغماري، ص١٢.

(٢) انظر سفر التثنية، ٦/ ٥.

المبحث الثالث

وهو أن اليهود- لعنهم الله - آذوا أنبياءهم؛ كما قال الله تعالى في حق موسى - عليه السلام -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. ثم أورد الغماري صنوفاً من الأذى التي لقيها موسى من قومه، ولقيها غيره من الأنبياء والرسل، ثم قال: "فكيف تتفق أذيتهم للأنبياء، مع اتخاذ قبورهم مساجد؟!"(١).

والجواب: مضمّن في الردّ السابق؛ وتفصيلُه أن يقال: إذا تقرر أن ما نطقتْ به اليهودُ في حق الله تعالى، أعظم كفراً وأشنع من مجرد قتل الأنبياء وتكذيبهم، وهم مع هذا فقد ادّعوا عبادته، ومحبته؛ فتناقضوا؛ فيكون اليهود قد فعلوا مثل هذا مع رسله وأنبيائه؛ فجمعوا بين قتلهم، وتكذيبهم من جهة، واتخاذ قبورهم مساجد من جهة أخرى، وقد جاء على لسان المسيح، أنه خاطب اليهود قائلاً لهم: "ويلكم؛ لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم!!"(٢).

(١) إعلام الراكع والساجد، عبد الله الغماري، ص١٣.
(٢) إنجيل لوقا،١١: ٤٧.

المبحث الرابع

أن التعبير بالفعل المضارع في القرآن الكريم بـ (تقتلون)، وبقوله: (ويقتلون)، وبالعموم في قوله:(أفكلما) دالٌ على تجدد هذه الأفعال من اليهود واستمرارها، ويفيد: التكرار والعموم أيضاً. والمعنى: أن اليهود في جميع عصورهم؛ لا يخلو حالهم مع أنبيائهم من أمرين: التكذيب، أو القتل، ولا يمكن أن يقال: مرَّ عليهم عصرٌ لم يقتلوا فيه نبياً أو صالحاً.

وهذه الأفعال سجّلها الله تعالى على اليهود، في عِدَّة آياتٍ من كتابه الكريم، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. وقوله في السورة نفسها: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]. وغيرها من الآيات الدالة على قتلهم للأنبياء وتكذيبهم. وأشار الغماريُّ إلى نكتتيْن في هذه الآيات:

إحداهما: ما أفاده التعبيرُ بالفعل المضارع (يقتلون)؛ من تجدّد قتل اليهود للأنبياء–عليهم السلام– مرةً بعد أخرى؛ بحيث لم ينقطع ذلك وقتٌ من الأوقات.

والأخرى: أن لفظ (كلما) الوارد في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]؛ يفيد التكرار والعموم، والمعنى: أن اليهود في جميع عصورهم؛ لا يخلو حالهم مع أنبيائهم من أمرين: التكذيب، أو القتل، ولا يمكن أن يقال: مرَّ عليهم عصرٌ لم يقتلوا فيه نبياً أو صالحاً.

وينبني على هذا: أن قتل الأنبياء، أمر عادي عند اليهود – لعنهم الله – لا يرون فيه ما ينكَر ويستقبَح، بل قد يفتخرون به، كما في شأن عيسى– عليه السلام –؛ زعموا أنـهم قتلوه،

وقالوا متبجحين؛ مستهزئين: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧].

ولإصرارهم على عادتهم القبيحة في قتل الأنبياء؛ فقد حاولوا قتل النبي ﷺ عدة مرات [١].

فتاريخ اليهود-لعنهم الله- سلسلة اعتداءات متوالية؛ كفروا بآيات الله، وكذّبوا أنبياءهم، وآذوهم، وقتلوهم، وقتلوا صلحاءهم. فكيف يمكن مع هذا، أن يتخذوا قبور أنبياءهم مساجد [٢]؟!

والجواب: أن هذا الإيراد منقوض لغةً وشرعاً. وظاهر كلام المعترض: يشير إلى أن ما نُسِب إلى بني إسرائيل من تلك الأقوال والأفعال؛ يشملهم جميعاً بلا استثناء؛ بدلالة العموم المأخوذ من صيغة (كلّما) الواردة في الآية، وبالفعل المضارع (يقتلون)، - أو (تقتلون)-: الدّال على التجدد والاستمرار؛ وهو - من حيث الظاهر-: يُفْهِمُ كُفْرَهُم جميعاً؛ وانتفاء الإيمان عنهم قاطبة.

والرد عليه من وجوه:

الوجه الأول: لا يُسلَّم له أن الفعل المضارع المجرّد؛ يفيد الاستمرار التجديدي مطلقاً، أو يفيد الاستقبال مطلقاً؛ إلا بقرينة؛ لأنه في الأصل يحتمل أحدهما [٣].

وللنحوين فيما يفيده الفعل المضارع المجرد، أقوالٌ: منها: أنه لا يكون إلا مستقبلاً، وهو مذهب الزّجّاج (ت: ٣١١هـ) ومنهم من قال: هو مختص بالحال فقط، وهو مذهب ابن الطّراوة (ت: ٥٢٨هـ)، ومنهم من قال بإفادته للحال والاستقبال، واختلفوا؛ فمنهم من

(١) انظر: صحيح البخاري برقم (٤٤٢٨)، والسيرة، ابن هشام، ٢/ ١٩٠ – ١٩٥، والروض الأنف، السهيلي، ٦/ ٢٠٨ – ٢١٣.

(٢) انظر: سبيل التوفيق، عبد الله الغماري، ص١٠٩.

(٣) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبوحيان، ٢/ ٨٣٤.

جعله مشتركاً؛ كلفظ (العيْن)، وهو ظاهر مذهب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، ومنهم من جعله للحال على وجه الأصل؛ أي: الحقيقة، وللاستقبال على وجه الفرع، أي: المجاز، وهو مذهب الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، ومنهم من عكس فقال: دلالته على الاستقبال حقيقة، وعلى الحال فرع، ورجّح الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) أنه يترجح الحال عند تجرده عن القرائن المُخَلِّصة للحال أو الاستقبال[١]. وهذه القرائن مبسوطة في كتب الفن، يطولُ البحث بجلبها[٢].

والمقصود: الرد على المعترض؛ بدفعه أحاديث ثابتة في الصحيحين؛ قطعية الورود؛ باحتمال لغوي مرجوح. وهذا اتّباعٌ للهوى، وصدٌّ عن الحق والهدى.

على أنّه قد يُعبّر بالفعل المضارع ويحكى به الحال الماضية؛ لاستحضار صورته في الذهن؛ لقصد إحضار مشهده كأنه رأي العين، ولا سيما إذا عُطف على فعل ماض، كقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧][٣]، وهي إحدى الأدلة التي جلبها المعترض لإفادة العموم، وإيهام الاستمرار التجديدي؛ فهذا تخريجٌ آخر للآية يوهن حُجته، ويدحض فريته.

فورود هذه الاحتمالات، وكون المضارع حقيقة في الحال، فرعٌ في الاستقبال[٤]؛ يُسقِط

---

(١) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبوحيان، ٤/ ٢٠٢٩-٢٠٣٠، وهمع الهوامع، السيوطي، ١/ ٣٦-٣٧، وحاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصبان، ١/ ٨٩، وكتاب معاني النحو، ٣/ ٢٨٠.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٤/ ٢٠٣٠، وهمع الهوامع، ١/ ٣٧، وما بعدها، وكتاب معاني النحو، فاضل السامرائي، ٣/ ٢٨٠، وما بعدها، وجامع الدروس العربية، الغلاييني، ٢/ ١٦٨، و٣/ ٢٦٤.

(٣) انظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ٣/ ٣٢٩.

(٤) قال السيوطي في همع الهوامع، ١/ ٣٦ معرفا الفعل المضارع: "وهو صالح للحال والاستقبال، خلافاً لمن خصّه بأحدهما. ثم المختار: حقيقة في الحال...". وقال في الكتاب نفسه، ١/ ٣٦- ٣٧، في صدد حكايته الخلاف في إفادته الحال والاستقبال:" الرَّابِع: أَنه حَقِيقَة فِي الْحَال مجَاز فِي الِاسْتِقْبَال وَعَلِيهِ =

حصرَ دلالة الآية على ما ذكره الناقد. فمذهبٌ يتردد بين هذه الأقوال؛ لا يمكن الجزم بواحدٍ منها بحال، إلا بقرينة قوية تُمحّض الفعل للاستقبال.

الوجه الثاني: كيف طاش بَصَرُهُ عن الآيات الصريحات، المُثبتات لإيمان بعض اليهود أو النصارى، وأوْهَمَ تساوي اليهود واشتراكهم في قتل الأنبياء، أو تكذيبهم؟! فهذا الإطلاق من حيث الظاهر، يخالف صريح الكتاب، والسنة. أمَّا الكتاب: فقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨هـ): "وَأَمَّا قَوْلُهُ تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤)﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، فهذه الآية تتناول اليهود أقوى مما تتناول النصارى، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]؛ هذا مدحٌ مطلق لمن تمسّك بالتوراة؛ ليس في ذلك مدح لمن كذّب المسيح، ولا فيها مدح لمن كذّب محمداً ﷺ. وهذا الكلام تفسير سياق الكلام؛ فإنه تعالى قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠]، فقد جعلهم نوعيْن: نوعاً مؤمنين، ونوعاً فاسقين؛ وهم أكثرهم، وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يتناول من كان قبل مبعث محمد ﷺ، كما يتناولهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

=الْفَارِسِي وَابْن أبي ركب، وَهُوَ الْمُخْتَار عِنْدِي بِدَلِيل حمله على الْحَال عِنْد التجرد من الْقَرَائِن؛ وَهَذَا شَأْن الْحَقِيقَة، وَدخُول السِّين عَلَيْهِ لإِفَادَة الِاسْتِقْبَال؛ وَلَا تدخل الْعَلامَة إِلَّا على الْفُرُوع كعلامات التَّثْنِيَة وَالْجمع والتأنيث".

[الحديد:٢٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وقوله عن إبراهيم الخليل: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣].

ثم قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: قال: ١١٠] ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ(١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١١١-١١٢]. وضرب الذلة عليهم أينما ثقفوا، ومباؤهم بغضب من الله -الآية- وما ذكر معه من قتل الأنبياء بغير حق، وعصيانهم، واعتداؤهم: كان اليهود متصفين به قبل مبعث محمد ﷺ، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. فتناولت هذه الآية من كان من أهل الملل متمسكاً بها قبل النسخ، بغير تبديل، كذلك آية آل عمران، لما وصف أهل الكتاب بما كانوا متصفاً به أكثرهم، قبل محمد ﷺ، من الكفر، قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤]. وهذا يتناول من كان متصفاً منهم بهذا قبل النسخ؛ فإنهم كانوا على الدين الحق، الذي لم يُبدل، ولم يُنسخ؛ كما قال في الأعراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(١٦٨) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٦٩) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٦٨-١٧٠]"[١].

فواضح من سياق الآيات، أن الأوصاف التي ذُموا بها، وكفروا لأجلها، منطبقة على أكثرهم، لا كما أوهم المعترض. قال ابن تيمية-رحمه الله- عن أهل الكتاب: "وكان منهم من لم يكفر، بل كان مؤمناً بالأنبياء؛ كما قال سبحانه تعالى: [الأعراف:١٥٩]؛ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] ..."[٢].

وقد بيّن ابن تيمية-أيضاً-أن المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. يشمل الطوائف الأربع، بما فيهم: اليهود والنصارى، قبل النسخ والتبديل، فقال- بعد كلام له سبق-: "...وكذلك بنو إسحاق، الذين كانوا قبل مبعث موسى، متمسكين بدين إبراهيم: كانوا من السعداء المحمودين؛ فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى، والمسيح، وإبراهيم، ونحوهم، الذين مدحهم الله تعالى". ثم ذكر-رحمه الله- الآية السابقة، وقال: "فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل؛ ليسوا ممن آمن بالله، ولا باليوم

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ٢/ ٢١٠-٢١٣.
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٦/ ٤٩٣.

الآخر، وعمل صالحاً، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]"[١].

فقصارى الأمر: أن الذين وقع عليهم الذم والتعييب؛ طائفةٌ من اليهود، وهم الأغلب؛ بنص الكتاب العزيز. وهذا لا يضير مؤمنيهم من أتباع الرسل، الذين لا يتحملون من أوزارهم شيئاً، بل إن هذه الشريعة مدونة عند بني إسرائيل أنفسهم، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم:٣٦-٣٩]. وعلى ما سبق: أمكَن التّفطن لمراده، والتّيقظُ لفساد إيراده؛ لأن الجهة منفكّة؛ حيث إنّ النصوص لم تتوارد على محل واحد؛ فارتفع لذلك الإشكالُ، واندفع — بحمد الله– وزال.

وأمَّا السنة: ففي أحاديث، منها: حديثُ عياض بن حمار المجاشعي، وفيه: "وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"[٢].

قال النووي-رحمه الله- (ت: ٦٧٦هـ): "المقت: أشد البُغض، والمراد بهذا المقت والنظر؛ ما قبل بعثة رسول الله ﷺ، والمراد بقايا أهل الكتاب: الباقون على التمسّك بدينهم الحق، من غير تبديل..."[٣].

ومنها: ما ثبت في الصحيح، من رؤية نبينا ﷺ، لسواد عظيم، حتى قيل له: هذا موسى وأمته، ولو كان لم يؤمن به أحد؛ لكان ممن يأتي وليس معه أحد. والشاهد منه قوله ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ، وَالرَّجُلَيْنِ، وَالنَّبِيَّ

(١) دقائق التفسير، ابن تيمية، ٤/ ١٣٧-١٣٨.
(٢) أخرجه مسلم، برقم، ٢٨٦٥.
(٣) شرح مسلم، النووي، ١٧/ ١٩٧-١٩٨.

وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ..."[1].

الوجه الثالث: تناقض المعترض؛ فقد وجدت له كلاماً نقله عن الإمام القرافي (ت: ٦٨٤هـ)؛ حاصله: أن اليهود والنصارى عظّموا الرسل والرسالات من حيث الجملة، وإن لم يخرجوا عن كونهم كفاراً. نقل هذا عنه مقراً له، ولم يتعقبه؛ فقال: "قال القرافي في الفروق؛ في الفرق بين قاعدة التفضيل بين المعلومات، ما نصّه: (القاعدة الثالثة: التفضيل بطاعة الله تعالى، وله مثل:

أحدها: تفضيل المؤمن على الكافر.

ثانيها: تفضيل أهل الكتاب، على عبدة الأوثان. فأحلّ الله -تعالى- طعامهم، وأباح تزويجنا نساءهم، دون عبدة الأوثان؛ فإنه جعل ما ذكوه كالميتة، وتصرفهم بالذكاة، كتصرف الحيوان البهيمي من السباع والكواسر، في الأنعام؛ لا أثر لذلك، وجعل نساءهم كإناث الخيل والحمير، محرمات الوطء؛ كل ذلك اهتضام لهم؛ لجحدهم الرسائل والرسل. وأهل الكتاب عظّموا الرسل والرسائل، من حيث الجملة؛ فقالوا: بصحة نبوة موسى، وعيسى، وغيرهما من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-، وبصحة التوراة والإنجيل، وغيرهما من الكتب؛ فحصل لهم هذا النوع من التعظيم والتمييز...وإن كانت لا تفيد في الآخرة إلا تخفيف العذاب، أما في ترك الخلود؛ فلا"[2]. فتأمّلْ في حكم القرافي

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم (٢٤٤٨)، وفي مواضع أخرى، وهذا سياقُه هنا، وأخرجه البخاري، برقم (٣٤١٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم، برقم (٢٢٠)، وفي مواضع أخرى، والترمذي، برقم (٢٤٤٦)، وأبو عوانة، ١/ ٨٥-٨٦، وابن حبان، برقم (٦٤٣٠)، وابن منده في "الإيمان"، برقم (٩٨٢)، وفي مواضع أخرى، والبيهقي في "شعب الإيمان"، برقم (١١٦٣)، والبغوي في شرح السنة، برقم (٤٣٢٢). والحديث له طرقٌ كثيرة.

(٢) النفحة الذكية في بيان أن الهجر بدعة شركية، عبد الله الغماري، ص٥٣-٥٤.

على أهل الكتاب- اليهود والنصارى- بالكفر، والخلود في النار، مع أن منهم من صحح نبوة الأنبياء، وعظّمهم في الجملة؛ وهذا من شواهد الخلل، وبوادر الخطل، في كلام الغماري، المشوب بالزلل؛ حيث أوهمت عباراته السابقة، خلافَ الحق في هذه القضية، وآراءً غير مرضيّة.

الوجه الرابع: أن الأصوليين مختلفون في دلالة العام على كل أفراده، هل هي ظنيّة أم قطعيّة، ومذهب الجمهور أنها ظنيّة(١)؛ فحيث ثبت ذلك؛ فليس له القطع بما هو مظنون الدلالة، على ما ثبتت قطعيته؛ سنداً ومتناً، أعني: ما جاء في الصحيحيْن-وقد تلقت الأمة أحاديثهما بالقبول- من النصوص المصرّحة بلعن اليهود والنصارى المتخذين القبور مساجد. وهذا الاتفاق في حد ذاته؛ قائمٌ مقام القطع؛ أي: من جهة إجماعهم على ظاهر معناه، وتلقي تلك الأحاديث وغيرها بالقبول. وهذا كاف لإبطال ما ادعاه أصلاً ورأساً. والله تعالى أعلم.

الوجه الخامس: على القول برجحان شمول العموم لكل أفراده، ومرجوحية عكسه؛ فإنّ هذا لا يساعده أيضاً؛ إذْ لا إشكال؛ فلقائلٍ أن يقول: إذا تبيّن وثبت بالدليل: أن طائفة من اليهود كانوا على الإيمان، والحق، والهدى؛ فهؤلاء مستثنون من العموم؛ وإخراجهم عن أن يتناولها اللفظ العام؛ مُحَتَّمٌ، ولا بُدّ؛ لأنه لا يصح نعت القرآن لهم بالإيمان، لو كانوا قد شاركوا قومهم في قتل الأنبياء أو تكذيبهم، أو رضوا بالأمرين، أو بأحدهما؛

(١) انظر الخلاف في كون دلالة العام على كل فرد من أفراده ظنية، أو قطعية، في المصادر التالية: حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي، العطار، ١/ ٥١٤-٥١٦، ونهاية السول، الإسنوي، ص١٨١، وما بعدها، وروضة الناظر، ابن قدامة، ٢/ ٥٦، وما بعدها، وشرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي، ٢/ ٥٤٣-٥٤٧، والتبصرة، أبو إسحاق الشيرازي، ص١٥٢، واللمع، أبو إسحاق الشيرازي، ص٢٧-٢٩، وتخريج الفروع على الأصول، شهاب الدين الزنجاني، ص٣٢٦ -٣٢٩، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري، ١/ ٣٣-٣٦، وأصول السرخسي، السرخسي، ١/ ١٣٢ وما بعدها، وشرح التلويح على التوضيح، سعد الدين التافتازاني، ١/ ٦٩.

فهذا ممّا يسلبهم الإيمان بيقين؛ فدّل عدمُ ذلك: على تصديقهم الرسل، وبراءتهم من قتلهم، أو تكذيبهم؛ وحينئذ: فيكون الوصفُ بالمداومة على قتل الأنبياء وتكذيبهم، عاماً فيمن أتي الأمريْن، أو أحدهما؛ ولا وجه لتعديته-حينئذ- بل ولا موجب له-كما مضى- فيكون الوصفُ المذكور- المنبئُ بالعموم-: محصوراً في هذه الصّور فقط؛ فإن أكثر العمومات مُخَصَّصة[1]؛ فما من عموم إلا وقد تطرَّق إليه التخصيص[2] إلا ما استُثْنِي؛ فيكون من قبيل العموم المـُخَصَّص- الذي خرج مخرج الغالب- لأمور منفصلة، وهي:

الأول: ما تقدم من النصوص، التي فيها وصف طائفة من أهل الكتاب-مع قلّتهم- بالإيمان، والطاعة، وتصديق الرسل؛ وهذا قائمٌ مقام الاستثناء من حيث المعنى؛ وهو ظاهرٌ.

الثاني: الحس، وهو هنا: المشاهدة، والواقع[3]، وهو دليل قاطعٌ، ودَفْعُهُ مكابرةٌ ظاهرة، ومغالطة باردة؛ وهو: أنّ اليهود توارثوا عبادة القبور عن أسلافهم، وسيأتي من النقول ما يؤيد هذا المعنى؛ مضمّناَ هنالك، إقراراً لكُتَّابٍ غيـر مسلميـن بذلك.

وأيضاً: فإن اشتهار الأماكن التي يعبد فيها اليهودُ معظّميهم من الأنبياء، والرسل، والصالحين، ويرتادونها، ومشاهدة الناس لذلك؛ بات من الأمور المـُسلَّمات. فالحاصل: أن العمومات المستفادة من تلك الصِّيغ؛ تكون بحسبها، ولهذا نظائر وأمثلة في كتب أصول الفقه، يراجعها من شاء.

(١) انظر: روضة الناظر، ابن قدامة، ٢/ ٦٠، و٢/ ٧١، والتقرير والتحبير، الكمال بن الهمام، ٣/ ٢١.

(٢) المستصفى، الغزالي، ص٢٣٤.

(٣) كون الحس أحد المخصصات المنفصلة، انظر له: روضة الناظر، ابن قدامة، ٢/ ٦٠، والتحبير شرح التحرير، علاء الدين الصالحي، ٦/ ٢٦٣٨، ومذكرة أصول الفقه، الشنقيطي، ص٢٦٣.

المبحث الخامس

أنه لا يُعرف قبـرُ نبي إسرائيلي، أو صالح منهم في مكان معين بالتحديد، فكيف يتخذون قبورهم مساجد وهم يجهلونها؟

والرد عليه من وجهين:

الوجه الأول: انتقاض الكُلّيّة التي أصّلها؛ بأن يُقال: قد عُرفت بعـضُ قبـور أنبيـاء بني إسرائيل في زمانهم، ثمّ تناسوها؛ ويدلّ عليه: قصة المرأة العجوز التي أرشدت موسى – عليه السلام – إلى عظام يوسف– عليه السلام – [1]، وأيضاً: فقد كانوا يعرفون قبـر دانيال النبيّ، ويستسقون به، وعلى القول بأنه صالحٌ وليس بنبيٍّ؛ فقد عرفـوا مكـان قبره أيضاً[2].

يقول بطرس في عظته لليهود: "أيها الرجال الإخوة، يسوغ أن يقال لكم جهاراً، عن رئيس الآباء داود، أنه مات ودُفن، وقبـره عندنا حتى هذا اليوم، فإن كان نبياً؛ علم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد؛ ليجلس على كرسيه..."[3].

بل إن شقيق عبد الله الغماري الأكبر، وشيخه: أحمد (ت:١٣٨٠هـ)، لا يقول بعدم

(١) أخرجه الحاكم، برقم (٣٥٢٣)، و(٤٠٨٨)، وأبو يعلى، برقم (٧٢٥٤)، وعنه ابن حبان (٧٢٣)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (٣١٣).

(٢) انظر عن بعض أخبار دانيال الآتي: التاريخ، الطبري، ٤/ ٩٢-٩٣، وفتوح البلدان، البلاذري، ص٣٦٧-٣٦٨، والبدء والتاريخ، المطهر المقدسي، ٣/ ١١٤-١١٥، والمنتظم، ابن الجوزي، ١/ ٤١٧-٤٢٠، وقصص الأنبياء، ابن كثير، ص٥٢٨-٥٢٩، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٢/ ٤٨-٥٠، وإغاثة اللهفان، ابن القيم، ١/ ٢٠٣.

(٣) أعمال الرسل، ٢/ ٢٩-٣٣.

معرفة قبور الأنبياء، ولا أن الجهل بها استمر إلى وقت النبي ﷺ، بل استثنى من ذلك أقبراً[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أما قبور الأنبياء، فقالت طائفة، منهم مالك بن أنس: لا يعرف قبر نبي، إلا قبر نبيّنا خاصة، وقال هؤلاء: لا يعرف قبر الخليل ولا غيره.

وطائفة أخرى قد يعرفون بعض القبور؛ كقبر الخليل - عليه السلام - لكن من هؤلاء من يثبت أمورًا مكذوبة، مثل قبر نوح الذي بقرية الكرك بجبل لبنان، وغيره من القبور المضافة إلى الأنبياء، فإنها كذب بلا ريب، وإن كان قبر الخليل صحيحًا، وكذلك قبور غير الأنبياء كثير منها كذب، أو مختلف فيه..."[٢].

وقال: "... فَالْأَنْبِيَاءُ كَثِيرُونَ جِدًّا وَمَا يُضَافُ إلَيْهِمْ مِنْ الْقُبُورِ قَلِيلٌ جِدًّا؛ وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ ثَابِتٌ عُرْفًا. فَالْقُبُورُ الْمُضَافَةُ إلَيْهِمْ مِنْهَا مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَذِبٌ: مِثْلُ قَبْرِ نُوحٍ، الَّذِي فِي أَسْفَلِ جَبَلِ لُبْنَانَ. وَمِنْهَا مَا لَا يُعْلَمُ ثُبُوتُهُ بِالْإِجْمَاعِ - إلَّا قَبْرَ نَبِيِّنَا، وَالْخَلِيلِ، وَمُوسَى -..."[٣].

وهذا كافٍ لنقض إشكاله، وحَلِّ إبرامه.

الوجه الثاني: من المعلوم أن الاندراس يكون بعد طول الـمُدد، وتعاقب الأزمان، وهذا لا ينفي بأيّ حال معرفةَ مواضع تلك القبور قبل اندراسها، وذلك معلوم مُشَاهَدٌ ومُدرَكٌ بالحس؛ فكم كان منها معلوم المكان، لكن مع تقادم الزمان، وتطاول المُـدد، اندرست، ولم تعد تُعْرَف، وهذا من حيث كونه مُسلَّماً؛ لا يكاد يجهله أو ينازع فيه أحد، إلا من ترك الصريح ورضي بالزَّبَد، وبلغت به المغالطةُ أقصى أَمَد!

فالكلام إذن على عبادتها قبل اندراسها-حيث كانت معلومة- لا غيـر؛ لأنها لو عُبدت

---

(١) انظر: إحياء المقبور، ص٥٠.

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادات أهل الشرك والنفاق، ابن تيمية، ص١٠٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٧/ ٢٧٢-٢٧٣.

ولو لم يمتد زمانُ عبادتها، ثم اندرستْ؛ فقد تحقق خبـر الصادق المصدوق، ولم يتوقف تحققه على اشتراط الاسترسال في عبادتها.

فلو انمحتْ ولم يبق لها عينٌ أو أثر؛ فلا يقدح هذا في صحة الخبر. فبان ما في اعتراضه من العَوَر، ولا يخفى هذا الوجه على من تأمَّله وأمعن النظر.

المبحث السادس

أن اليهود يؤمنون بإله واحد، وإن كانوا يعتقدون فيه التجسيم والتشبيه، وكنائسهم خالية؛ من الصور، والقبور؛ والطائفة العُزيرية منهم، انقرضت قبل عهد النبوة، وهم لا يعرفون قبر عزير أيضاً، فكيف يعبدونها؟!

فتضمن اعتراضه أمريْن: أولهما: إنكاره اتخاذ اليهود قبور الأنبياء والصالحين مساجد من حيث الواقع والتاريخ. وثانيهما: دعواه خلو معابد اليهود من التماثيل والصور.

أمّا الرد على إنكاره اتخاذ اليهود قبور الأنبياء والصالحين مساجد؛ فدفعٌ بالصدر ليس إلّا، ومكابرة للواقع المشهود المعلوم. قال ابن بطال المالكي (ت: ٤٤٩هـ)، عند قول النبي ﷺ عن قبر موسى - عليه السلام - (رمية بحجر)، ما نصّه: "ومعنى بُعده منها (رمية بحجر) ليعمي قبره؛ لئلا يعبد قبره جهالُ أهل ملته، ويقصدونه بالتعظيم، والله أعلم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن اليهود تفعل ذلك بقوله: (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذِّر ذلك"(١).

وقال العيني (ت: ٨٥٥هـ): "فَإِن قلت: لِمَ لمْ يسْأَل نفس الْبَيْت، وَسَأَلَ الدنو مِنْهُ؟ قلت: خَافَ أَن يكون قَبره مَشْهُوراً؛ فيفتتن بِهِ النَّاس، كَمَا أخبر بِهِ الشَّارِع أَن الْيَهُود وَالنَّصَارَى اتَّخذُوا قُبُور أَنْبِيَائهمْ مَسَاجِد"(٢).

والكتَّابُ الغربيّون وغيرهم، معترفون بما أنكره الغماري، وأحالَ وقوعه. قال (ج.أ.س كولا ندي بلانسي): "...لقد قال القديس (جريجورى) (ت: ٦٠٤م) ...: (إن التصاوير لها

(١) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، ٣/ ٣٢٥.
(٢) عمدة القاري، العيني، ٨/ ١٤٩.

فائدة كبيرة للعباد؛ لأنـها ترتسم في مخيلتهم، وتؤثر على عقولهم تأثيـراً عميقاً؛ يثبت فيها الخشوع والإيمان).

ولكننا نقول: إنـها تؤدي إلى النقيض مما يرجى منها؛ فإن لها خطورة شديدة على الجمهور الذي يتحول بعد قليل، إلى عبادة القديس-الذي يرى صورته- عن عبادة الإله القوي العزيز، الذي لا يراه رأي العين. ومن جهة أخرى: فإن الأمر الإلهي واضحٌ لا غموض فيه؛ فقد قال الله تعالى، في التوراة (سفر التيه الفصل ٢٠: لا تصنع أبداً التصاوير لتعبدها، أو لتعكف عليها). وإن الله كما قال في كتابه المنزل (التوراة) لا يريد أن يشتـرك معه أحد في مجده وعظمته (سفر يشوع، الفصل ٤٦)، وهو يغار على سلطانه وجبروته كل الغيـرة...ولذلك فقد أخفى جثمان موسى بعد موته؛ حتى لا يضل بنوا إسرائيل، فيعبدوا نبيهم بعد موته...هذه الآيات من التوراة واضحة كل الوضوح، وكان يعرفها كل اليهود والنصارى تمام المعرفة، ومع ذلك فقد اتخذ اليهود بعض الآثار المقدسة؛ إذ إنـهم كانوا يعبدون عظام يوسف، مع أن يوسف نفسه كان قد أوصى بأن يحمل رماد جسده بعد حرقه إلى أرض الميعاد[1]، كما ذكر ذلك في التوراة (سفر التكوين، جزء ٥٠)، (وسفر يشوع، جزء ٢٤). وبعد ذلك كان اليهود يحجون إلى قبور أنبيائهم، وكانوا يصلون لديها...فقد عبدوا قبل ذلك العجل الذهبي، وأصنام لابان[2] Laban، وكانوا يحملون معهم تماثيل مولوخ[1]

(١) لابان بن بيتويل، ومعناه بالعبرية: الأبيض، وهو خال يعقوب النبي، وأبو زوجتيه: ليا، وراحيل. ورد ذكره في مواضع متفرقة من سفر التكوين، انظر عنه: الموسوعة الحرة.

(٢) هذا النص، لوائح الكذب والتحريف عليه ظاهرة، ويوسف - عليه السلام - يتجلل أن يفعل ذلك وحاشاه، ثم إن الرسول ﷺ، أخبر أن أجساد الأنبياء محفوظة عن أن تأكلها الأرض؛ كما في حديث أوس بن أوس، مرفوعاً: "إن الله -تعالى- حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء....". أخرجه الإمام أحمد، برقم (١٦١٦٢)، وأبو داود، برقم (١٠٤٧)، و(١٥٣١)، والنسائي في الصغرى، برقم (٣/ ١٩)، وابن ماجه، برقم (١٠٨٥)، و(١٦٣٦)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم =

Moloch، الصغيـرة على أنـها آلهة حافظة من الشر. وقد عبدوا كذلك في الصحراء، ثعباناً من النحاس، وسجدوا أمام تصاوير الملائكة...وكانوا يؤمنون بالتعاويذ، وكانت لهم نزعة شديدة إلى عبادة الأوثان.

وكان قبـر داود وسليمان عندهم، يتمتعان بنفس الدور من الاحتـرام والتقديس الذي كانوا يخصون به مقصورة اللوح المقدس، التي كانت تحتوي –حسب زعمهم–على لوح الوصايا العشر. وإلى جانب ذلك، كانت لهم مقدسات أخرى؛ فقد كان معطف إيلياء[٢] ElIle، الذي كان تلميذه إليشيا ElIsee، يحتفظ به بكل احترام وتبجيل–كان هذا المعطف يصنع المعجزات التي لا نهاية لها[٣]، كما هـو مذكـور في سفـر الملـوك (الكتـاب الرابـع، الفصل الثاني).

ومن العجيب حقاً: أن هذا المعطف نفسه لم يُفقد؛ حيث إن بعض الرهبان الكرميليين CarmelItes، يعرضونه في إحدى كنائسهم في ألمانيا. وكانت رفات إليشيا Elisee، تحظى من اليهود بحظ وافر من العبادة والتقديس؛ يُشبه ما يعامل به المسيحيون قدِّيسهم، والكتاب المقدس نفسه يقول: إن هذا الجسد كان ينبئ بالغيب، وأنه كان يصنع المعجزات (سفْر

=(١٥٢٧). فهذا الحديث يعود بالنقض على تلك الرواية التوراتية في وصية يوسف بحرق جسده.

(١) مولوخ (أي الملك)؛ من آلهة الفنيقيين، وهو عندهم الإله الرهيب، وكانوا يتقربون له بأطفالهم ويحرقونهم أحياء أمام ضريحه. وقد حدث في (قرطاجنة) أثناء حصارها (٣٠٧ ق. م) أن أُحرق على مذبح هذا الإله الغاضب مائتا غلام من أبناء أرقى أسرها. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ٢/ ٣١٥.

(٢) هو أحد أنبيائهم؛ حسب نصوص توراتهم، وقد ورد خبره فيعض أسفارهم، انظر مثلاً: سفر الملوك الأول، الإصحاح، ١٧–٢١، وسفر الملوك الثاني، ١–٨.

(٣) هذا من ضمن خرافاتهم الكثيرة، واعتقاداتهم الشركية الباطلة، التي جاءت الأنبياء والرسل بدحضها ومحقها، والتحذير منها؛ فإن أساس دعوتهم لأقوامهم: عبادة الله وحده لا شريك له.

الكنيسيات Eccles Iastiques، جزء ٤٨، الآيات: ١٤، ١٥) ؛ فمثلاً : كانوا في يوم يدفنون أحد موتاهم، فلمس خطأً عظام إليشيا Elisee، فما كان منه إلا بعث حياً (سفْر الملوك، الكتاب الرابع، الجزء:٢١). ولم يأت أعظم قديسي المسيحيين بأكثر من ذلك.

وكان اليهود يبجلون بعض الأشجار: منها: شجرة البلوط التي أقام إبراهيم تحتها وليمة للملائكة الثلاثة، وكانوا يبجلون الأرض التي سار عليها الأنبياء. وهم بذلك لا فرق بينهم وبين المسيحيين الذين يقدّسون تراب قبور القدّيسين. ولما شفي نعمان (Naaman)، من الجذام بمعجزة من إليشيا، استأذنه في أن يحمل معه حمولة بغليْن من تراب الكهف الذي كان يعيش فيه إليشيا (سفْر الملوك، الكتاب الرابع، الجزء: ٥)، وكان يقصد أن يبني بهذا التراب مذبحاً...

ولا نشك أن اليهود كانوا يبجلون الآثار المقدسة عموماً؛ فإن يسوع (عيسى) نفسه قد لامهم على ذلك، في الفصل ٢٣ من إنجيل (متّى)، فقال: (الويل لكم أيها الخبثاء! إنكم تشيدون الأضرحة لأنبيائكم، وتزينون قبور الأولياء، وتتشبهون بالذين عذبوهم واضطهدوهم) ..."[(١)].

فماذا بقي لكلام الغماري من قيمةٍ علمية، أو تاريخية، تُذكَر؛ أمام هذه الحقائق المؤيدة لكلام من لا ينطق عن الهوى، ﷺ؛ ناهيك عن الشواهدُ الحيّة، والصور المتكررة في بلاد المغرب التي هو من قاطنيها، وساكنيها.

(١) قاموس الأضرحة والمقابر والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء، نشر: مكتبة جوبان وشركاه، طبع باريس، سنة ١٨٢١م، ترجمة وتعليق: الدكتور أمين رضا، وهي منشورة في مجلة (الهدي النبوي)، ص٢٠-٢٦، العدد (٥)،جمادى الأولى، سنة ١٣٨١هـ، و ص٢٣-٢٩، العدد (٦)، جمادى الآخرة، من السنة نفسها، وفي ص ٢٦-٣٦، العدد (٧)، رجب، من السنة نفسها، وفي ص٢٣-٢٨، العدد (٨)، شعبان، من السنة نفسها، وص١٥-٢٠، العدد (٩)، رمضان، من السنة نفسها، وفي ص٢٣-٣٤، العدد (١٠)، شوال، من السنة نفسها.

يقول الدكتور عطا أبو رية في كتابه (اليهود في ليبيا وتونس والجزائر)، تحت عنوان (زيارة الأولياء)، ما يلي: "انتشر بالمغربيْن: الأدنى والأوسط عادة زيارة أضرحة الأولياء الصّدّقين، ويُطلق عليهم (وليّ البلاد)، ويعتقد عامة اليهود مقدرة هؤلاء تقديم الخلاص لهم وقت الشدّة...ويقدم الزوّار لخادم الولي، الهدايا والذبائح؛ مقابل البركة. وتنشر قبور هؤلاء الأولياء ببلاد المغرب...عادةً ما يتم تغطية الضريح بمظلة بسيطة تميّزه عن باقي المقابر، وفي بعض الحالات يتم زخرفة الضريح بفقرات من العهد القديم (التوراة) أو أشكال هندسية. ويقوم على خدمة الضريح وسيط في حياته. وكان فقراء اليهود يعطونه نذراً عندما يباركهم، ويلتمسون منه الشفاء؛ ونتيجة لذلك أثرى كثير من الوسطاء لدرجة كبيرة، وقد أشاع الوسطاء بين العامة من اليهود عدّة أمور خارقة للعادة، مثل: الطيران، وإحياء الموتى، وكيف انتقلوا بشكل سحري من مكان إلى آخر، وكم جعلوا البحار العاتية الأمواج هادئة؛ بكتابة الاسم القدسي على قطعة خزفية جديدة؛ يرمونها في البحر؛ لكي يتوقف هيجانه..."(١). وبهذا يتبيّن بطلان هذه الشبهة التي نظمها الغماري، وأنها لا يقوم لها شاهد، ولا ينهض بها برهان. والعجب منه، كيف تأتّى لطرفه أن يتعامى عمّا اشتهر في بلده المغرب الأقصى، من شيوع عبادة اليهود للقبور والأضرحة؛ تعامياً يضارع إنكاره لأصل عبادتها وتقديسها؟!

وأمّا دعوى عبد الله الغماري خلو معابد اليهود من التماثيل والصور؛ فلعله قد اغترّ بما يوجد من نصوص توراتيّة تحرّم اتخاذ التماثيل المنحوتة، أو المسبوكة، والصوّر(٢)؛ وخلو بعض معابد اليهود اليوم من الصور والتماثيل؛ فعمم ذلك على كافة معابد اليهود؛ وهذا ليس

(١) اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، عطا أبو رية، ص٢٢٠-٢٢٢. وانظر أيضاً: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، غاري السعدي، ص٤٧-٤٨، ويهود المغرب العربي، محمد الخوجة، ص٨٢.

(٢) انظر سفر التثنية (٤:٢٣)، و(٢٧:١٥)، وسفر الخروج (٤:٢٠)، وسفر اللاويين (١:٢٦)، وسفر التية الفصل (٢٠).

بصحيح؛ إذ توجد نصوص صريحة في التوراة تُجيز اتخاذ التماثيل وصناعتها(١). وقد احتج أحد علماء النصارى على جواز اتخاذ الصور (الأيقونات) في الكنائس، بهذه النصوص التوراتية(٢).

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري (ت: ٢٠٠٨م): "ولا يوجد طراز معماري خاص بالمعبد يمكن أن نسميه (الطراز اليهودي)؛ فالطراز المعماري للمعبد اليهودي يختلف باختلاف الحضارة الأم التي ينتمي إليها اليهود. وقد تأثرت المعابد اليهودية بالطراز الهيليني(٣)، إبان المرحلة الهيلينية؛ فمعبد (ديوار إيوربوس) مزيّنٌ بكثير من لوحات الفسيفساء المحلاّة بصُورٍ لأشخاص، ومناظر من العهد القديم على الطراز الهيلليني؛ بحيث يوجد تناظُرٌ بين شخصيات العهد القديم والشخصيات الأسطورية الهيلينية كما كانت توجد رسوم للأفلاك والأرواح، والرسوم النباتية"(٤).

وأشار الدكتور المسيري إلى أن معبد (ديوار إيوربوس) كانت فيه لوحة تمثّل ميلاد موسى وقد حملته أفروديت (فينوس)(٥)، المسمّاة بآلهة الجمال، -حسب معتقدات اليونان

(١) انظر: سفر الخروج، ٢٥: ١٨ -٢٠.

(٢) انظر: منارة الأقداس في شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس، منقريوس عوض الله، ص٨٧-٨٨.

(٣) الهيلينية: يراد بها ما جاء على طابع الفكر والحضارة القديمة، في العصر الذي بدأ من فتح الإسكندر للشرق، وانتهي بعصر الإمبراطور أوغسطس؛ أي: من سنة ٣٣٦ ق م إلى ٣٠ ق م تقريبا. ويمتاز هذا العصر بامتزاج الفكر اليوناني بالروح الشرقية. أما اسم الهيلينية فيرجع إلى زمن (درويزن) في كتابه: تاريخ الهيلينية الذي ظهر سنة ١٨٣٦م. انظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن بدوي، ص٤، حاشية رقم (٢).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية، المسيري، ٥/ ٧.

(٥) فينوس هي آلهة الحب والجمال لدي الرومان واسمها في اليونانية الآلهة (أفروديت)، وقد اعتقد الرومان أن الإله (فينوس)، وُلِدت في البحر، وجاءت إلى شواطئ قبرص في محارة. وكانت فينوس كبيرة آلهة الرومان، ارتبطت أساسا مع الحب والجمال والخصوبة، وحسب الأسطورة كانت القرين للبركان، كما كان ينظر إليها بجدية من الشعب الروماني عن طريق الأسطورة (إينيس)، وكانت تؤدي دوراً رئيسياً في العديد من الاحتفالات الدينية الرومانية شأنها شأن معظم الآلهة في الأساطير =

الوثنيين-، كما أن معابد اليهود إبان حكم الممالك العبرانية، كانت فيها تماثيل لملائكة، وأيضاً: تماثيل العجول كانت موجودة في هيكل المملكة الشمالية، ولوحة لهارون وقد تبعه أحد الكهنة اللاويين، ويسير وراءهما عبدٌ"(١). وقال الدكتور المسيري عن معابد (الشتتل): "...كما تختلف الزخارف الداخلية لأقدم معابد (الشتتل) اختلافاً تاماً عن نمطها في (الجيتو الغربي)، فقد كانت جدران معبد (الشتتل) تُغطّى بالزخارف الإسلامية، وتُصوَّر عليها الحيوانات التي تبيّن التأثير الفارسي الموجود في المشغولات الفنيّة للخزر المجريين"(٢).

فنصوص التوراة التي بأيدي اليهود: متناقضة؛ منها ما يُحرّم صناعةَ التماثيل، ومنها ما يُجيز اتخاذها، وكذلك معابدهم ليست كلها خالية من الصور والتماثيل كما ادّعى الغماري؛ وبنى عليه ما بنى؛ من نفي عبادة اليهود للأضرحة والمقابر(٣).

=الرومانية. (هذه المعلومات مقتبسة من موقع المعرفة على الشبكة العنكبوتية) ورابط المقالة: https://www.marefa.org/%DA%A4%D9%8A%D9%86%D9%88%D8%B3_(%D8%A3%D8%B3%D8%B7%D9%88%D8%B1%D8%A9)#.D8.A7.D9.84.D9.85.D8.B5.D8.A7.D8.AF.D8.B1

(١) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، ٣/ ٢١٩.

(٢) المرجع السابق، ٥/ ٢١٧.

(٣) وقال الشيخ محمد بو خبزة، في صحيفة سوابق وجريدة بوائق، ص٦٢-٦٣، في سياق نقده لرسالة (إحياء المقبور)، لأحمد الغماري، ما نصّه: "...وجاء بعده شقيقه عبد الله، فألف أوراقاً سمّاها (إعلام الراكع والساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد)، زعم فيها أن الحديث الوارد بلعن اليهود لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، لا يجوز التعويل عليه؛ لمخالفته الواقع؛ يعني: أن اليهود والنصارى لا يبنون القباب والمباني على القبور. وهذا تكذيب علنيٌ منه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دون حياء ولا دين، وإنكار للمحسوس. وهذه كنائس اليهود، وبِيَع النصارى منذ قُرون؛ مبْنيّة على أنبيائهم وصالحيهم، بإسبانيا على قبر الحواري يعقوب، وقبة الفاتيكان تبعث السهام لعيني المبتدع الوقح، وهي مبنية على قبر الحواري بطرس، وكنائس روما، واليونان، وفرنسا، وغيرها من مدن أوروبا القديمة؛ تقوم على سراديب تحتها؛ مشحونة بالجثث والقبور للقديسين، وفي المغرب ثلاثة قبور لأولياء اليهود ...ما زال اليهود يحجون إليها-لعنهم الله وأخزاهم- فأين ذهب عقل الشيخ".

المبحث السابع

عرض الإشكال السابع ونقده

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض الإشكال السابع

أن القرآن العظيم ذكر أنواع المعبودات التي عبدها المشركون؛ من عهد نوح – عليه السلام –؛ فذكر الملائكة، وعيسى، وعزيراً، والشيطان، وفرعون، والجن، والشمس، والقمر، والشِّعرى، والكواكب، ووداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، وعجل السامري، وبعلاً، واللات، والعزّى، ومناة، والتماثيل، والأصنام. وجاء في كتب السيرة ذكر إساف، ونائلة، وهبل، والنار معبودة فارس، ولم يأت في القرآن، ولا كتب السيرة، أن قبـراً عُبد من دون الله، أو حصل به إشراك، كما حصل بالمعبودات المذكورة.

المطلب الثاني: نقد الإشكال السابع، وفيه ثلاثة وجوه

الوجه الأول: وهو أن يقال: ما وجه حصر العلم بـما ذكره على تلك المصادر؟ هل يعني: أن معرفة الحقائق متوقفة عليها؟ أوَ ليست الشواهد التاريخية، وأخبار الأمم السالفة والحاضرة، وما عاينه الناسُ، ورآهُ الرحّالةُ ودونوه، ووثّقوهُ؛ فيه ما يفي ويشفي؟ وناهيك بذلك برهاناً.

فلماذا الإنكار والتجاهل الذي ليس وراءه إلا المجازفة، والصيرورة إلى المكابرة، وفرط العمى، واتباع الهوى؟!

وهذا نقلٌ عن شقيقه أحمد الغماري؛ فيه إقرارٌ بحصول ما نفاه، وتكذيبٌ لما ادّعاه، ومحلُّ الغرض منه؛ قوله "...وهو أنه ﷺ، قال: (أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح

اتخذوا على قبـره مسجداً، وصوّروا فيه تماثيل)؛ فاتخاذهم الصور والتماثيل فيه دليل على أنـهم يفعلون ذلك لأجل عبادتـهم؛ وقد شهد العيان بذلك، وأثبت التاريخ مثله، وأنهم ابتدأوا عبادة الأصنام بعبادة صور الصالحين وقبورهم..."[1].

فالعيان والتاريخ- معاً- بشهادة أخيه الأكبـر: أثبتا حدوث عبادة القبور، فهل ننسب الجهل إليه، أم نجهّل شقيقه الذي ينعته بـ(الحافظ، العلّامة)؟!

الوجه الثاني: هل نَسِيَ الناقدُ أو تناسى، جملةَ التحذيرات التي أطلقها عمّا يفعله الناسُ عند القبور، بما فيها قبور النصارى، وأقرّ بكونها كفراً صريحاً، وشركاً قبيحاً؛ وعبادةً لغيـر الله، فكيف يتمهد له إنكار ما اعترف بحصوله؟! قال عبد الله الغماري: "تذييلُ: رأيت أن أقوم بواجب النصيحة، فأنبه إلى ما شاع بيـن كثيـر من الناس في توسلاتهم، وزياراتهم للأولياء؛ فقد توسعوا في ذلك توسعاً غيـر مرضي، وخرجوا عن الحد المشروع، وفاهوا بألفاظ منكرة، مثل: (يا سيد اشفني؛ سُقت عليك النبي)؛ (الشكوى لأهل البصيـرة عيب)؛ (العارف لا يُعرَّف)؛ (خلّ بالك معي)؛ (أنجحني في القضية الفلانية)؛ (أعطب عدوّي)، إلى ألفاظ من هذا القبيل؛ ظاهرها يقتضي الكفر، مع ما ينضم إلى ذلك من تقبيل العتبات والأبواب، والتمسح بالحديد والخشب، والدخول إلى الضريح على هيئة الراكع أو الساجد؛ مع تكتيف الأيدي خلف الظهر. وكل هذا ممنوع غيــر مشروع، والأولياء أنفسهم لا يرضون به، بل يتألمون من فعله، ويتبـرؤون من فاعله.

وليت الأمر اقتصـر بالمتوسليـن عند هذا الحد من المنكرات القبيحة، ولكنهم زادوا في الطيـن بلّة؛ فتوسلوا بالكفار؛ أعداء الله ورسوله؛ فتـراهم يذهبون إلى (الأميـر تادروس)[2]،

(١) إحياء المقبور، أحمد الغماري، ص٢٦.

(٢) تقع هذه الكنيسة في الركن البحري الغربي من الحوامدية، وعلى مسافة (كليو ونصف) منها في طريق (أبوصير)، وبها أجساد قدّيسهم: أبي السيفيْن، وقؤياقص، والأمير تادرس. وانظر معلومات أوفي =

بـ(كنيسة حارة الروم)؛ لطلب الحبل، وقضاء الحوائج، ويذهبون إلى (العريان)، في (دير بطرة)[١]....لطلب الحوائج أيضاً. ويحكون عن هؤلاء كرامات في إجابة الطلب، وقضاء الحاجات. فأيّ مسلم يرضى لنفسه، أو لأهله وأولاده هذا الكفر الصريح القبيح، المصادم لدين الإسلام؛ لأن هؤلاء الكفار-ومعهم كل نصراني ويهودي- أعداء الله ورسوله، وأعداء دينه، وهم مخلدون في النار، لا يخرجون منها أبداً، حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، فكيف يسوغ في عقل أحد-كيفما كان تفكيـره- أن يتوسل إلى الله بأعدائه، وأعداء رسوله، وأعداء دينه؟! إن هذا منتهى الجهل، وغاية الكفر. عافنا الله بمنه وكرمه"[٢]. وإذا كانت القبور غير مقصودة، فكيف يقول محذِّراً: "ولا تذهب إلى قبر كافر في دير أو كنيسة، ولا تصدّق ما يُحكى عنه من الكرامات، واعتقدْ أن ذلك كله كذب، وجهل، وخرافات..."[٣]. فإذا لم تكن هذه عبادات للقبور وأهلها، فلماذا يسمّيها أهلُ العقول والنُّهى؟!! فعبادة البشر، والقدّيسين، وأضرحتهم، التي دفعها الغماري بالصدر؛ كانت معروفة عند الأمم السالفة[٤].

الوجه الثالث: أنه قد ثبتت عبادة القبور عن كثير من الأمم والحضارات السالفة، باعتراف المؤرخين والكتّاب الغربيين وغيرهم. فتحت عنوان: عبادة آثار الأولياء والصالحين وتصاويرهم عند الشعوب القديمة، يقول (ج.أ.كولان دي بلانسي)، ما يلي: "كانت

=عن هذا الدير في كتاب: الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة من الجيزة إلى أسوان، معهد الدراسات القبطية، ص١٩.

(١) كان الدير القديم يقع على شاطئ النيل مباشرة، في منطقة طرة عند محطة توسكا. وعند إنشاء الكورنيش، تم هدم الكنيسة وبنت الحكومة بدلاً منها كنيسة حديثة شرق الكورنيش. وانظر معلومات أوفى عن هذا الدير، في المرجع السابق، ص٢١-٢٢.

(٢) الرد المحكم المتيـن، عبد الله الغماري، ص٢٧١-٢٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص٣٧٢.

(٤) وانظر ما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا، في مجلة المنار ج٣، م٣٣، ص٢١٦-٢١٨، عن مشاهداته لبعض ما يفعله وثنيّو الهند، في (بنارس) في الهند، عند ما يزعمون أنه قبـر أبي البشر، آدم – عليه السلام – وقبـر زوجته، وقبـر أمه!!

الآلهة الشركية عند عبدة الأوثان، مثل قديسي الكاثوليك، رجالاً أتقياء قدّسهم الناس بعد موتـهم؛ لفضلهم، أو لحبهم الخير إبان حياتـهم، فقد كان الأثينيون يحفظون بحرص عظام (تيزي)(١)....كما كان الرومان يعبدون بقايا جسد (نوما)(٢) (ت: ٦٧٣م) ...، كذلك كان عبدة الأوثان يخصون عظام أوليائهم وقبورهم بعبادات خاصة، ويخشعون لها، ويخضعون... وكان الرومان يحرصون على عصا (رمولوس)(٣) (ت: ٧١٦ ق.م)... كل الحرص، وكانوا يتبركون به، ويعتقدون أنه يصنع المعجزات؛ حيث إنه لم تمسه النار خلال الحرائق الثلاث التي اجتاحت مدينة روما... إذاً: فقد كان لعبدة الأوثان مقاصير مثل مقاصير النصارى؛ يحتفظون فيها ببقايا موتاهم، وكانوا يعكفون عليها؛ تقديساً وعبادة. ولكن هناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء؛ فقد كانت آلهة الوثنيين قليلة، أما آلهة النصارى؛ فلا حصر لها، ولا عد"(٤). وتحت عنوان (عبادة الأسلاف) يقول الدكتور علي أحمد عجيبة: "...وكانت عبادة الأسلاف أو الأموات، من المعتقدات الشائعة بين اليونان القدماء؛ وذلك أن الموتى في اعتقادهم كائنات مقدسة، وقد خلعوا عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً..."(٥). وقال أيضا: "وكان من أهم الأرواح التي عبدها الرومانيون، أرواح الموتى...وكانوا يقومون

(١) جاء التعريف به في حاشية رقم (١) من مجلة الهدي النبوي، ص٢٣، العدد السادس، جمادي الآخرة، سنة: ١٣٨١هـ، بأنه: "بطل إغريقي قديم، تغنوا بشجاعته؛ حتى ألّهوه، وادعوا أنه هو الذي خلّصهم من الوحش الخرافي المسمَّى (مينتور)".

(٢) انظر التعريف به في حاشية رقم (٢) من المصدر السابق.

(٣) انظر التعريف به في حاشية رقم (٣) من مجلة الهدي النبوي، ص٢٤.

(٤) الهدي النبوي، ص٢٣-٢٤، العدد السادس، جمادي الآخرة، سنة: ١٣٨١هـ، نقلاً عن كتاب: قاموس الأضرحة والمقابر، لـ(ج.أ.كولان دي بلانسي).

(٥) دراسات في الأديان الوثنية القديمة، أحمد عجيبة، ص١٥١.

بالطقوس من أجل إرضائها، واتّقاء شرها. وكانت عبادة الموتى تشغل مكاناً كبيراً في حياة الرومان الدينية..."[1].

ومعلومٌ أن مقصود عُبّاد القبور، ليس مجرد التراب، والحجارة، والبنايات، وإلا لعبدوا كل حجر، ولتبركوا بكل ترابِ الأرض، لكن تلك العبادات والتبرّكات؛ إنما هي لاعتقادهم أن مَنْ في باطنها من الأنبياء والأولياء، والصالحين، يشفعون لهم عند الله، أو يملكون لهم النفع، والضر؛ وهذا هو معنى عبادة القبور، وهذا عين ما بُليت به الأمم المشركة.

وفي سياق بيان وقوع النصارى في هذا البلاء، يقول الكاتب(ج.أ.س.كولان): "...ولما مات الحواريون، زاد انتشار عبادة آثارهم ومخلفاتهم؛ فأصبحنا نسمع ونقرأ أن عظام الحواريين اكتسبت قوة خارقة لصنع المعجزات. ثم ازداد استعمال الناس لمخلفات الموتى عندما انتشر التعذيب والتقتيل في المسيحيين، وحينما بدأ المسيحيون يستشهدون.

لقد راح الأحياء من مؤمني المسيحيين يتهافتون على عظامهم وثيابهم، والرمل المبلل بدمائهم، والفحم الذي حُرقوا عليه، وكان الناس يعتقدون أن أكثر الأعمال دليلاً على التقوى والإخلاص، هي: أن ينفقوا أموالهم، ليستخلصوا رفات شهيد من شهدائهم. وكان أرقى أنواع الجهاد هي اقتحام المخاطر لسرقة جثة أحد الشهداء من حراسها، وكان المسيحيون يعظمون بقايا شهدائهم تعظيماً كبيراً، حتى إن الناس كانوا يتهمونهم عادة بعبادتهم، وكانوا يحملون معهم في كل مكان قطعاً صغيرة من عظام القديسين بحجة أنها كانت تعاويذ قوية، وتمائم فعّالة، وكانوا يغبطون من يحتفظ في بيته بشيء كان في يوم ما ملكاً لأحد القديسين.

(١) المرجع السابق، ص١٨٠.

وكانوا في القرون الأولى لا يبنون كنيسة إلا في مكان دُفن فيه جسد أحد المسيحيين الذي دخل الجنة بعد موته-حسب زعمهم-. وكان القديس (أمبروز) (ت: ٣٩٧م)، يرفض أن يقيم أية كنيسة في مكان لا يوجد فيه أثر محترم من الآثار المقدّسة، وفي عام ٦٩٢م، اجتمع مجمع عالمي لكهّان الكنيسة في قسطنطينية، وقرر هدم كل مذبح في كنيسة لم يكن مُقاماً على شيء يستحق التقديس"[١].

ثم تكلم على ما يُسمّى بـ (صليب يسوع الإله) عندهم، وعن الكرامات المذكورة له، ثم قال: "ومهما يكن من شيء؛ فقد كان كل واحد مقتنعاً بأن هذا الصليب الأصلي، وكذلك آلات تعذيب المسيح، كانت تقوم بالمعجزات، كما كان تراب قبر يسوع الإله[٢]، له قوة طرد الشياطين. وكان الزيت المستعمل في إيقاد المسارج أمام جثث الشهداء، يتصف بمقدرة فائقة على شفاء المرضى، وكانوا يعتقدون أن المريض الذي لا يشفى به، لا بد وأن يكون كافراً.

هذه القوة نفسها كانت تتصف بها الزهور التي كانت تزيّن مقاصير الشهداء، وكل متعلقات القديسين في حياتهم. بل إن كل شيء يمس عظامهم بعد موتهم: كان يكتسب هذه القوة الشافية"[٣]. يقول القس منقريوس: "جرت العادة في الكنائس الرسولية عموماً، أن تبنى الكنائس في أماكن استشهاد القديسين، ويبنى المذبح بالأخص، فوق رفاتهم. وإذا بُنيت كنيسة في أي مكان آخر، فيجب أن يؤتى إليها بشيء من عظام القديسين؛ لذلك نجد أن القانون الـ ٨٣ من cadxcan. Eccl. Af rea. d. 419 يأمر بأن المذابح المقامة في المزارع،

(١) مجلة الهدي النبوي، ص٣٠، العدد السابع، رجب، سنة: ١٣٨١هـ، نقلاً عن كتاب: قاموس الأضرحة والمقابر، لـ(ج.أ.كولان دي بلانسي).

(٢) هذا بحسب زعمهم الباطل؛ وإلا فإن نبي الله عيسى عليه االسلام؛ حيٌّ بروحه وجسده، مرفوعٌ إلى السماء، إلى أن يأذن الله تعالى بنزوله آخر الزمان، كما تواترت بذلك الدلائل، وأفرده العلماء بالجمع والتصنيف.

(٣) مجلة الهدي النبوي، ص٣١-٣٢، العدد السابع، رجب، سنة: ١٣٨١هـ، نقلاً عن كتاب: قاموس الأضرحة والمقابر، لـ(ج.أ.كولان دي بلانسي).

يجب أن تهدم إذا لم يوجد الدليل القاطع، على وجود شهيد تحتها، ووبخ الذين يشيدون المذابح لمجرد الأحلام والرؤى (قاموس، ص٦٢). وقد جاز عندهم أنه إذا تعذر إيجاد الجسد الحقيقي للقديس، فليس أقل من استحضار قطعة من ملابسه التي ابتلت بدمائه وقت استشهاده، لتوضع تحت المذبح.

كما أنهم أجازوا فيما بعد أنه إذا تعددت الكنائس وانتشرت، وتعذر إيجاد رفات القديسين: أن يجعلوا عند هذه الضرورة ورقة من كتاب البشائر المقدسة، تحت المذبح.

ولا شك أن في إقامة المذابح فوق عظام الشهداء، تعليماً جليلاً لنا؛ إذ ننظر إلى آلام هؤلاء وما تحملوه في سبيل الإيمان، والمحافظة على تعاليم الكنيسة، وأسرارها المقدسة...كما أن هذه العظام تكون للبركة. ولا غرابة؛ فقد ظهرت أعجوبة فائقة من عظام اليشع النبي؛ إذ بمجرد أن لمستها جثة إنسان ميت، قام للحال! قال القديس باسيليوس(ت: ٣٧٩م) في تفسيره (مز: ١١٥): من لمس عظام الشهداء؛ شاركهم في قداستهم؛ بسبب النعمة الحالة في أجسادهم. ويقول فم الذهب (ت: ٤٠٧م): إن الشياطين لا يمكن أن يحتملوا ظل الشهداء القديسين.

ويجب أن نعلم أن كنيستنا القبطية، لا تعمل بعبادة بقايا القديسين-كما تفعل الكنيسة الكاثولكية- ولا تؤمن بهذه العقيدة؛ لأن العبادة واجبة لله وحده. ومع هذا فإننا نحتفظ دائماً في كنائسنا بهذه البقايا، ونعتقد أنّ بها يمكن الحصول على بركة للمؤمنين، وليس فينا أحدٌ يشك في هذا الأمر. أو لم يسمع عن تلك المعجزات المتكاثرة، التي تتم ببركة هؤلاء القديسين؟ لذا نجد في كنائسنا هذه الأجساد، أو العظام، داخل أنابيب تُكسى بالحرير، ويُرسم فوقها الصلبان، وتوشّى بخيوط الفضة والذهب. وتحوي هذه الأنابيب- علاوة على العظام- الشعر، وأحياناً الأسنان من بقايا القديسين، ولكن من يجرؤ على فتحها"[1].

(١) منارة الأقداس في شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس، منقريوس عوض الله، ص٥٦-٥٧.

واستقصاء وتعداد الأمثلة في هذا الباب، طويلٌ[1]؛ وفي هذا القدر من الأوجه كفاية، لاطّراح شذوذات الغماري، وقمعها، وبطلانها بأسرها؛ فهو إنّما تفسّح في الكلام ابتداءً؛ بناءً على إبطاله الحديث؛ روايةً ودرايةً. ولا قيمة لهذا التّفسّح -بعد ثبوت الحديث بوجهيْه-: فالراوية تصالحُ الدراية؛ تصريحاً لا رمزاً ولا تلويحاً؛ فلا أحسنَ المعترضُ في فاتحة رسالته، ولا واسطتها، ولا خاتمتها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) وللتوسع انظر: تقديس الأشخاص عند النصارى، عرض ونقض، ص٣٠٦-٣١١.

أهم النتائج

من خلال بحثي في هذا الموضوع، وقراءتي للشّبه المتعلقة به؛ خرجتُ بنتائج أُجملها فيما يلي:

أولاً: أن من علماء الصوفية، ومُصنِّفيهم-كعبد الله بن الصديق الغماري- من أشغل وقته، ووفّر جهده، وأفرغ وسعه، في تأصيل الضلالات، وصبغها بالصبغة العلمية؛ وحرَّف لها الأدلة، ولوى أعناقها؛ للتشبيه والتدليس على من لا علم عندهم، ولا خبرة لديهم بالنصوص ومعانيها، وأودع ذلك في كتب سارت بها الركبان، وأصبحت زاداً لدعاة الإفك في كثير من البلدان.

ثانياً: أن هذا النشاط التأليفي، الذي يقوم بها الغماري وأضرابه؛ يكتنف في طيّاته حملات شرسة على عقيدة أهل السنة والجماعة؛ يهدفُ تشويهَهَا، ونشر تُهَمٍ وأكاذيب، يعيبونهم بها؛ لا زمام لها ولا خطام، وإن تبرقعتْ في ظاهرها بالنصح، وبالإشفاق على عقائد المسلمين والعوام؛ فهي في الحقيقة تستبطن الشر والحيْف، وتتأبط الشطط والزّيْف.

ثالثاً: جناية أهل البدع؛ بردهم أصحّ الأحاديث المروية في البخاري ومسلم؛ انتصاراً للبدعة، واتّباعاً للهوى، وإصراراً على الانحراف؛ انحرافاً يتضمن إسقاط هيبة الصحيحيْن، والتشكيك في مروياتهما، وقد أخذ الغماري بنصيب وافر من ذلك.

رابعاً: أن ما قام به الغماري في كتابه (إعلام الراكع والساجد) يُعَدُّ جناية من جنايات أهل البدع على النصوص الشرعية؛ حيث يعمدون إلى ضربِ بعضها ببعض، وتعطيلها عن دلالاتها ومعانيها، وتفريغها عن محتواها؛ إبطالاً لما دلت عليه من الحق والهدى، وبالأخص فيما يتعلق بتوحيد الله، الذي أوقد جمرَ الغيظِ في قلوبهم: انتشارُ أعلامه، وعُلوُّ صرح بُنيانِه وأركانِه.

خامساً: أن الغماري في كتابه الآنف، سار على خطة أهل البدع؛ بالاعتداء على النصوص الشرعية؛ ومعارضتها بالأقيسة العقلية الفاسدة، والآراء الفجة الكاسدة.

أمَّا أهم التوصيات

فيما يخص هذا البحث؛ فإني أوصي بالاهتمام بدراسة ونقد كتب عبد الله بن الصديق الغماري العقدية؛ وهي وإن تشعّبتْ، وافترقتْ؛ فإنه يلُمُّها نِصَابٌ واحدٌ؛ مدارُه على: إبطال ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من عقائد.

فَلَمُّ شتات هذا النقد- كما لا خفاء فيه على أحد- في أطروحة علمية؛ وإعطاؤه قسّطه المُسْتَحَق من الدراسة الجادّة؛ يقي الناس من الاستسلام للمذاهب الباطلة، والآراء العاطلة، ويُشيّدُ حصناً منيعاً؛ يُتَوَقَّى به من الانسياق للشبهات، والانزلاق إلى الضلالات.

وليكن ذلك النقد إسوة بالأطروحة العلمية، التي أعدّها الأستاذ منير البقمي، عن الآراء العقدية لأحمد بن الصديق الغماري، ونال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

كما أوصي المراكز، والأكاديميات البحثية، والباحثين، بالتصدِّي للتصوّف، والصوفيّة، بعامّة؛ ولاسيما بعد أن أصبحت لهم مراكز دراسية؛ تتصنّع المنهج العلمي، وتتظاهر به. بل أضحتْ لهم مواقع على الشبكة العنكبوتية، يُستكتَبُ -ويكتُبُ- فيها كبارُ علمائهم المهتمين بقضايا التصوف، بل يقيمون الاجتماعات، والملتقيات، والمؤتمرات العالمية، السنوية؛ ترويجاً لآرائهم، وأفكارهم، وانحرافاتهم، التي شوّهوا بها جمال الدين الإسلامي، واجتهدوا لهدم قواعده، وطمس معالمه؛ وهذا هو سبب عناية الغرب بهم، ودعمهم بسخاء؛ لموافقتهم في كثير من الانحرافات العقدية؛ كعبادة القبور، وتقديس الأموات؛ الذي هو شرك صريح جاءت جميع الرسل بالتحذير منه، والدعوة إلى ضده.

فهرس المصادر والمراجع

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وتخريج: شعيب الأرناؤوط، ط:١، بيروت؛ مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط: جديدة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، ط:١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك، ط:٧، القاهرة، ١٣٢٣هـ.

الاستنفار لغزو التشبه بالكفار، أحمد بن الصديق الغماري، هذّبه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الله التليدي، ط:٢، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

أصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، تحقيق: د. رفيق العجم، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤م.

إعلام الراكع والساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد، عبد الله بن الصديق الغماري، (د.ط)، مصر (د.ت).

الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، غازي السعدي، ط:١، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٤م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة (د.ت).

أمثال العرب، المفضل بن محمد بن سالم الضبي، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الإيمان، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي، تحقيق: د. علي بن محمد ابن ناصر الفقيهي، ط:٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، بورسعيد، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية (د.ت).

البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي معوض وآخرين، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط:٢، بيروت، دار التراث،١٣٨٧هـ.

التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط:١، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٣هـ.

التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي،

تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، وآخرين، ط:١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

تحذير الساجد، من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، ط:١، الرياض، دار المعارف الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

التحرير والتنوير، المسمّى، محمد الطاهر بن عاشور، (د.ط)، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

تخريج الفروع على الأصول، محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار، أبي المناقب شهاب الدين الزَّنْجاني، تحقيق: د. محمد أديب صالح، ط:٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ.

التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، ترجمة: د. عبدالرحمن البدوي، (د.ط)، مصر، مكتبة النهضة المصرية،١٤٩٠م.

تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط:٢، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

تفسير الكتاب المقدس، متى هنري، ط:١، القاهرة، مطبوعات إيجلز، ٢٠٠٢م.

تفسير الماتريدي، المسمّى بـ(تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، عرض ونقد، الشيخي: موسي عقيلي بن أحمد، رسالة ماجستير، السعودية، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ.

التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي: محمد بن محمد، ط:٢، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، الصنعاني، محمد بن إسماعيل، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط:١، الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، محمد بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين، ط:٣، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط:٢٨، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، بيروت، (د.ط)، دار الكتب العلمية (د.ت).

دراسات في الأديان الوثنية القديمة، د. أحمد علي عجيبة، ط:٤، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤م.

دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، إعداد: د. محمد السيد الجليند، ط:٢، سوريا، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ.

الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة من الجيزة إلى أسوان، إعداد: قسم العمارة القبطية بمعهد الدراسات القبطية، (د.ط)، القاهرة، مطبعة الأنبا رويس للأوفست (د.ت).

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،

حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، ط:١، السعودية، الخبر، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين، عبد الله بن الصديق الغماري، ط:٢، القاهرة، مطبعة العهد الجديد، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ط:٤، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ودار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد بن محمد، ط:٢، مصر، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة، محمد الزمزمي بن محمد الصديق الغماري، (د.ط)، المغرب، مطبعة اسبارطيل (د.ت).

سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، محمد بن إسماعيل الحسني، (د.ط)، دار الحديث، (د.ت).

سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق، عبدالله بن الصديق الغماري، مصر، (د.ط)، مطبعة دار البيان. (د.ت).

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الألباني محمد ناصر الدين، ط:١، الرياض، دار المعارف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، (د.ط)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

السيرة النبوية، ابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط:٢، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

شرح التلويح على التوضيح، التافتزاني، سعد الدين مسعود بن عمر، (د.ط)، القاهرة، مكتبة ومطبعة علي صبيح (د.ت).

شرح السنة، البغوي، محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط:٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، ط:١، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الهند، بومباي، الدار السلفية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:١، بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي. (د.ت).

صحيفة سوابق وجريدة بوائق، أبو أُويس محمد بو خبزة الحسني، ط:١، القاهرة، دار الآفاق، الرياض، دار التوحيد، السعودية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن العراقي،

أكمله أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

فتوح البلدان، البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن داود (د.ط)، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن جزم الظاهري، محمد علي بن أحمد بن سعيد، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٢١هـ.

الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. عبد المجيد الشرقي، ط:٢، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م.

الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة، عبد الله بن الصديق الغماري، مطبوع ضمن مجموعة من مؤلفاته، (د.ط)، المغرب، الدار البيضاء، دار الفرقان للنشر والتوزيع، (د.ت).

فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ط:١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

قاموس الأضرحة والمقابر، (ج.أ.كولان دي بلانسي)، منشور في مجلة الهدي النبوي، ص٢٣-٢٤، العدد السادس، جمادي الآخرة، سنة: ١٣٨١هـ.

قاموس الأضرحة والمقابر، لـ(ج.أ.كولان دي بلانسي)، منشور في مجلة الهدي النبوي، ص(٣٠)، و (٣١-٣٢)، العدد السابع، رجب، سنة: ١٣٨١هـ.

قاموس الكتاب المقدس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، موجود على الشبكة العنكبوتية.

قصة الحضارة، ول ديورانت، تقديم: د. محي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين (د.ط)، بيروت، دار الجيل، وتونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

قصص الأنبياء، ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط:١، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

الكتاب المقدس، ترجمة: الآباء اليسوعيين الكاثوليك، ط:١، لبنان، دار المشرق، ٢٠٠٧م.

كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، (د.ط)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، محمد بن علي بن يوسف، ط:٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن على، ط:٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف، ط:٢، بيروت، نشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، ط:٢، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

مجلة المنار، ج٣، م٣٣، ص (٢١٦-٢١٨). مقال للسيد رشيد رضا، بعنوان: الإسلام ووثنية الهند وزعماؤها.

مجمع الأمثال، الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، تحقيق: حسام الدين القدسي، (د.ط)، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسي، علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط:٥، المدينة النبويية، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠١م.

مروج الأخيار في تراجم الأبرار، بطرس فرماج اليسوعي، ط:١، بيروت، مطابع الآباء المرسلين اليسوعيين، ١٨٨٠م.

مستدرك الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

المستصفى، أبو حامد العزالي، محمد بن محمد، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:١، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، أبو عَوانة الإسفراييني، يَعقُوب بن إسحَاق، تنسيق وإخراج: فَرِيق مِن البَاحِثِين بكليَّةِ الحَديثِ الشّـَرِيفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة بالمدينة النبوية، ط:١، المدينة النبوية، الجَامِعَة الإسلاميَّة بالمدينة النبوية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط:١، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

المعجم الكبير، الطبراني، أحمد بن أيوب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:٢، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (د.ت).

المعجم، أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثُنى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط:١، باكستان، فيصل آباد، إدارة العلوم الأثرية، ١٤٠٧هـ.

منارة الأقداس في شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس، منقريوس عوض الله، ط:١، مصر، المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٤٧م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي، ط:١، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط:٤، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

موسوعة المختصرات في المسيحية، لهلال طواب، نقلاً عن (مدونات مكتوب) على الشبكة العنكبوتية.

موسوعة اليهود، عبد الوهاب المسيري، ط:١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، (د.ط)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

النفحة الذكية في بيان أن الهجر بدعة شركية، عبد الله بن الصديق الغماري، (د.ط) نشر: علي رحمي، القاهرة، (د.ت).

نهاية السول شرح منهاج الوصول، أبو محمد جمال الدين الإسنوي، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (د.ط)، القاهرة، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

يهود المغرب العربي، محمد الحبب الخوجة، (د.ط)، مصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٣م.

يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، د. أحمد الشحات هيكل، (د.ط)، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، بجامعة القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، د. عطا أبو رية، ط:١، مصر، التبراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري، ط:١، القاهرة، دار الشـروق، ١٩٩٩م.